اثنا عشر كوكباً[1]

أيها السادة !

اقترح بعض الفضلاء أن ألقي على الرجال المحاضرة التي كنت ألقيتها في الاسبوع الماضي على السيدات في هذه الردهة بعنوان (اثنا عشر كوكبا) . ولقد وافق هذا الاقتراح رغبتنا اذ اننا نحب أن يطلع السادة الرجال على نموذج من المحاضرات التي نلقيها على السيدات . فيكون في ذلك زيادة اطمئنان الى المحاضرات النسائية . وإقبال عليها .

وقد اعتدت أن أراعي في المحاضرات النسائية حالة نسائنا في ملكة اللغة العربية ودرجة مقدرتهن على فهم اساليبها . فأفرغ المحاضرات لهن في قوالب سهلة الألفاظ عليهن قريبة التناول من أذهانهن . فأرجو أن لا تؤاخذوني فيما ترون من لين العبارة . والزيادة او التكرار في توضيح الاشارة . وهذه هي المحاضرة :

* * *

محاضرتي اليوم أيتها السيدات تاريخية . والتاريخ الذي هو العلم بأخبار الماضين من الذ العلوم وانفعها للبشر : لاننا اذا تعلمنا التاريخ وتأملنا كيف كان يعمل الناس الذين عاشوا قبلنا استحسنا من اعمالهم اشياء فنقلدهم فيها واستقبحنا اشياء فنتركها ونعرض عنها . على أن من قرأ تاريخ الازمان الماضية كان كأنه عاش في تلك الازمان كلها على حد قول الشاعر :

(ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً الى عمره)

وكتب التاريخ مختلفة في طرائقها . وكيفية تأليف أجزائها : وأشهر طرائقها أن

(١) هي المحاضرة التي القاها الأستاذ «المغربي» على النساء ثم على الرجال سنة١٩٢٣م

يذكر المؤرخ الأزمان الماضية سنةً وراء سنة . وكلما ذكر سنةً ذكر الحوادث التي جرت فيها : مثل موت فلان الملك . وقيام آخر مكانه . ومثل انه حصل حرب بين الملك الفلاني والملك الفلاني . ومات فلان وفلان من عظماء الرجال . وحصلت مجاعة او طاعون مات بها كثيرون من البشر . وظهر في السماء نجم (ابو ذنب) فذعرله الناس الخ الخ . ثم يقول المؤرخ . ودخلت السنة التي بعد تلك فجرى فيها من الحوادث كيت وكيت ولا يزال يسرد السنين واحدة وراء واحدة حتى يكمل تاريخه .

ومن كتب التاريخ ما يسمى (التراجم) و (الطبقات) وهو ان يذكر المؤرخ تراجم مشاهير الناس الماضين . ويسرد اخبارهم . وما فيه فائدة من احوالهم من دون تخصيص زمان ولا مكان مثل تاريخ ابن خلكان ومن المؤرخين من يخصص الزمان : فيذكر الذين عاشوا مثلاً في القرن الثامن للهجرة او التاسع او العاشر . كتاريخ نجم الدين الغزي الذي سماه (الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة) ولم يطبع بعد وهو من مخطوطات دار كتب المجمع العلمي .

ومن المؤرخين من يخصص المكان . فيذكر في تاريخه علماء بغداد او الحجاز او اليمن مثلاً ولا يذكر سواهم مثل تاريخ (تاج المفرق في علماء المشرق) للبلوي . ومنهم من يخصص الطبقة والصنف فيذكر علماء الحنفية وحدهم او الشافعية . او الحنابلة . او الاطباء . اوالعميان . كما فعل الصلاح الصفدي في كتابه (نكت الهميان) وكتاريخ طبقات الاتقياء لابن حبان . وهو مما أهداه الامير سعيد الجزائري الى مكتبة المجمع . ومن هذا القبيل كتاب (الدر المنثور في تراجم ربات الخدور) الذي ألفته السيدة (زينب فواز) العاملية الأصل المصرية الموطن والوفاة . وتاريخها المذكور طبع منذ ثلاثين سنة . وهو مجلد ضخم عدد صفحاته (٥٥٠) صفحة تضمنت ترجمة نحو (٥٠٠) سيدة من جميع أجناس النساء شرقيات . وغربيات . معاصرات . وقديمات .

* * *

ندع هذه التواريخ جانباً ونرجع الى تاريخ (نجم الدين الغزي) الذي سماه (الكواكب السائرة) وهو الذي حكى لنا فيه أخبار المشاهير الذين عاشوا في القرن العاشر اي منذ (٤٠٠ سنة) . وانما سماه (الكواكب) لأن كل واحد من المشاهير الذين ذكرهم في كتابه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشبه كوكب السماء . في الرفعة والنور والبهاء . نقلب بين ورقات هذا الكتاب لنرى هل يوجد بين كواكبه الرجال كواكب من النساء ؟ نقّبنا وبحثنا فوجدنا بين أُولئك الكواكب (اثني عشر كوكباً) او اثنتي عشرة امرأة فاضلة عالمة : (ثنتان) في مصر و (خمس) في حلب و (خمس) في دمشق . هذه الكواكب من النساء هن اللواتي أُريد ان اسرد تراجمهن . واذكر ما يحسن من أخبارهن . ولهذا سميت محاضرتي (اثني عشر كوكبا) وكواكب الناس ككواكب السماء : مختلفة الأقدار . متفاوتة في الأنوار . لذلك ترون الكلام على بعض النساء قليلاً . وعلى بعضهن كثيرا .

* * *

(الكوكب الأول) (أم الهنا) المصرية . بنت القاضي (ناصر الدين البدراني) كانت شيخة مباركة صالحة . ولها رواية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ومعنى ذلك انها كانت تتلقى حديث رسول الله عن شيوخها حتى اذا أتقنت هذه الأحاديث حفظاً وفهماً سمح لها شيوخها أن ترويها للناس وتعلمهم إياها . وكانت وفاة هذه الشيخة سنة (٩١١) للهجرة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(الكوكب الثاني) (فرح) المصرية . بنت الامير الكبير الدوادار يشبك . و (الدوادار) لقب من ألقاب الامراء في زمن ملوك مصر الجراكسة . أما أُمها فهي بنت الملك المؤيد (شيخ) واسمها (خوند بدرية) . وكانت (فرح) من العابدات التاليات للقرآن العظيم . كثيرة الصدقات على الارامل واليتامى والمنقطعين . ولما أحسّت بدنو اجلها أوصت بشيء كثير من أثاث قصرها . واعتقت جميع مماليكها . وكانت وفاتها سنة(٩٢٧) .

(الكوكب الثالث) (فاطمة بنت الحنبلي) الحلبية . تلقت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيخ المحدث (برهان الدين) وزارت بيت المقدس وحجت مرتين . وزهدت في الدنيا . ولبست العباءة التي يلبسها الزهاد ثم حجت مرة ثالثة فماتت بمكة سنة (٩٢٥) .

(الكوكب الرابع) (خديجة بنت البيلوني) الحلبية . كانت شيخة صالحة

فقيهة . أجاز لها الشيخ الكمال (ابن الناسخ الطرابلسي) رواية حديث البخاري . وكان أهلها شافعية . فلما تزوجت برجل حنفي المذهب تحنّفت مراعاة لزوجها . لأن زوجها كان يمس يدها أحياناً فينتقض وضوءها : كما هو حكم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وهي رضي الله عنها ما كانت تتعصب لمذهب دون مذهب كما يفعل بعض الشيوخ . بل كانت تعلم انه لا فرق بين المذاهب . ولا يضر أن يدع المسلم مذهبه ويتبع مذهباً آخر من المذاهب الاربعة . إذ أن كلهم على هدى وسداد . ولما صارت حنفية حفظت عن ظهر قلبها كتاباً في المذهب الحنفي . وماتت سنة (٩٣٠) .

(الكوكب الخامس) (بتوران) الحلبية بنت قاضي القضاة (محمد اثير الدين) ابن الشحنة . وبيت الشحنة في حلب بيت علم قديم ومنهم بل أشهرهم ركن الدين ابن الشحنة قاضي الحنفية في حلب وهو صاحب التصانيف المشهورة وقد توفي سنة (٨١٥) وبتوران الشحنية عاشت بعده بنحو مئة سنة وكانت خيرة صالحة . حجت مرتين . وكلمة (بتوران) تركية ولعلها هي وتودان وبوران من اصل واحد فتحول احداهما الى الأخرى بتخفيفٍ . ودرست بتوران العلوم . ولها نثر ونظم . وكانت كثيرة الانفاق على الفقراء والمساكين . حتى إنها لما احست بالموت حمدت الله إذ لم يكن في صندوقها درهم ولا دينار . يعني انها حمدته مذ وفقها الى إنفاق جميع مالها في سبيل الخير ومواساة المعوزين . ومن أخبارها انها استأجرت وقفاً على مدة تسعين سنة . وكان الذي آجرها الوقف فقيراً . فلما علمت بحاله أعادت اليه وقفه من دون ان تسترد منه المال الذي اعطته اياه . بل سامحته به . وكان مضى من مدة الاجارة زمن قليل . ولما مات اخوها محب الدين الشحنة في الشام رثته فقالت :

(دعوا دمعي بيوم البين يجري فقد ذهب الأسى بجميل صبري)
(وكيف تصبري وأخي رهين بأرض الشام في ظلمات قبر)

وكانت ولادة (بتوران) سنة (٨٦١) ووفاتها سنة (٩٣١) فتكون عاشت نحو سبع وسبعين سنة .

(الكوكب السادس) (باي خاتون) الحلبية : قرأت على عمها شيخ الاسلام

(زين الدين ابن الشماع) كتاب الاحياء للغزالي • وكتاب المنهاج للنووي • وكان عمها (زين الدين) يزورها كثيراً • ومات ورأسه في حجرها • ومن أخبارها انها تصدقت بمائتي مثقال ذهب وكانت ترقي للريح الاحمر فيبرأ المريض باذن الله تعالى • وكانت وفاتها سنة (٩٤٢) ودفنت بجوار عمها (الشيخ زين الدين المذكور) •

(الكوكب السابع) (فاطمة بنت قريمان) الحلبيـة الشيخة الفاضلة الصالحة كانت رئيسة للزاويتين : (الزاوية العادلية) و(الزاوية الدجاجية) وكانت حسنة الخط : كتبت كتباً كثيرة • ولها عبـارة فصيحة • وقد غلب عليها التقشف والتعفف وملازمة الصلوات حتى في حالة المرض • واخبرت عن نفسها قالت : اخذت العلم عن زوجي الشيخ كمال الدين الأردبيلي • وكان زوجها هذا متقناً لستة وثلاثين علماً • وعند موتها أوصتهم ان يدفنوا معها سجادة صلاتها •

وكانت ولادتها سنة (٨٧٨) ووفاتها سنة (٩٦٦) فتكون عاشت ثماني وثمانين سنة • وذكر المؤرخ (ابن الحنبلي) انه شهد جنازتها وحمل نعشها •

http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

فرغنا من الكلام على سبعة كواكب: مصريتين وخمس حلبيات • فلننتقل الى الكلام على الكواكب الخمسة الدمشقيات :

(الكوكب الثامن) (أمة الخالق) أم الخير الدمشقية • تلقت العلم عن (الجمال الحنبلي) • وأجازها الشرف ابن الكويك • وبموتها نزل اهل الأرض درجة في رواية البخاري • وكانت ولادتها سنة (٨١١) ووفاتها (٩٠٢) فتكون عاشت إحدى وتسعين سنة •

(الكوكب التاسع) (خديجة بنت نصرالله) الدمشقية الصالحية كان للناس فيها اعتقاد عظيم • وعلى الخصوص الأتراك العثمانيون الذين كانوا قريبي عهد بالاستيلاء على بلاد الشام وبلاد مصر اي نحو عشرين سنة • حتى ان الوزير الاعظم (اياس باشا) ارسل اليهـا من الاستانة مبلغاً من المال لتعمير دارها • وكانت دارها من أوقاف الزاوية الداوودية • وكان اذا شاورها احد الناس في أمر ما تقول له : إصبر حتى أبيّت لك النية

في هـذه الليلة ، ثم تصبح فتشير عليه أن يفعل كذا او يترك كذا ، وكان غالب ما تشير به يتحقق ، لكنّ ابن عمها (الشيخ زين الدين بن نصر الله) كان ينكر عليها ذلك ، ويقول لها : (هذا من فعل الكهان ولااستحسن لك يا ابنة عمي ان تشتغلي بهذه الأمور) والعمري ان الحقّ مع ابن عمها : لأن الغيب لا يعلمه الا الله ، وديننا الاسلامي نهـانا ان نصدق الكهان الذين يدّعون معرفة المغيّبات ، لأجل سلب المال من المغفّلين والمغفّلات ، ثم لما عزمت الشيخة خديجة على الحج وقفت بيتها على جامع الحنابلة واعتقت جاريتها ، وكانت الشيخة رحمها الله مقعدة : لا تقدر على الطواف حول الكعبة فحملوها في شُقدُف ، وطافوا بها ، ولما رجعت من الحج ماتت في الطريق في المكان المسمى (هدية) : وهو أحد منازل الحج الشامي ، وكانت وفاتها سنة (٩٤٦) ،

(الكوكب العاشر) (خديجة بنت محمد) الدمشقية من بني الغزي المشهورين وهي الشيخة الصالحة الفاضلة الفقيهة ، تلقت العلم عن ابن عمها (شيخ الاسلام رضي الدين الغزي) وسمعت البخاري والفقه على ابنه (شيخ الاسلام بدر الدين الغزي) وماتت سنة (٩٣٥) ولم يكن لها قريب الا الشيخ رضي الدين الغزي فأثبت نسبها وورثها ،

(الكوكب الحادي عشر) (دمشقية من بني الغزي ايضاً وهي (زينب بنت الشيخ رضي الدين الغزي) المذكور ، وأخوها بدر الدين الغزي وابن اخيها نجم الدين الغزي ، مؤلف كتاب (الكواكب السائرة) ،

وبيت الغزي في دمشق بيت علم قديم ، وكان نساؤهم يجارين رجالهم في الفتوى والتأليف والتصنيف : يحكى أن الفتوى كانت تصدر من دارهم وعليها تواقيع عدة : الأب وزوجته وابنه الأكبر وابنته وكنته الخ ،

ويحكى ان (نجم الدين الغزي) درس في الجامع الأموي وهو دون البلوغ ، فكان اذا جلس للتدريس في شهر رمضان وضع قلة الماء على الكرسي بجانب الكُراس وكلما جفّ ريقه وعطش تنـاول القلة وشرب لأن صومه نفل ، امانشره العلم بين الناس فهو آكد واحبّ من صيامه ،

وكانت عمته (الشيخة زينب الغزية) من فضليات النساء علماً وديناً وصلاحاً تخرّجت

على والدها (الشيخ رضي الدين) ثم على اخيها (الشيخ بدر الدين) وكتبت لأخيها كتباً بخطها . ومدحته بقصيدة عرّضت فيها بخصومه وحساده فقالت :

(انما العالم الذي جمع العلم واكمل)
(قام فيه بحقه يتبع العلم بالعمل)
(سهر الليل كله بنشاطٍ بلا كسل)
(فهو في الله دأبه أبدَ الدهر لم يزل)
(حازَ علماً بخشيةٍ وبدنياه ما اشتغل)
(حاسديه ! تعجبوا ليس ذا الفضل بالحيل)
(ذاك مولاه خصّه بكمالٍ من الأزل)
(من يرم مشبهاً له في الورى عقله اختبل)
(أو بلوغاً لفضله فله قطُّ ما وصل)
(فهو شيخي ومفيدي وبه النفع لي حصل)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكر هذه الابيات ابن اخيها (نجم الدين) في تاريخه (الكواكب السائرة) ثم قال: (ولقد أجادت فيما شادت) . ولها غير ذلك من الاشعار في الوعظ وغيره في غاية الرقة والسلاسة . قال ابن اخيها : (وكانت من أعاجيب العصر . وافاريد الدهر) . وكانت ولادتها سنة (٩١٠) ووفاتها سنة (٩٨٠) فتكون عاشت سبعين سنة .

* * *

(الكوكب الثاني عشر) وهو تتمة الكواكب وأفضلها وأتمها نوراً واشراقاً فهو بينهما كالشمس بين النجوم . أو كسيدنا يوسف عليه السلام بين اخوته : الأحدَ عشر الذين رآهم في المنام . فقال لأبيه يعقوب عليه السلام (إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) .

هذا الكوكب هو (عائشة الباعونية) الدمشقية . أعلم نساء القرن العاشر الذي عاشت فيه . بل ربما لم يقم في الاسلام بعد كبار الصحابيات والتابعيات من يشبهها في العلم والفضل . والتفنن في النظم والنثر . والاجادة في التصنيف والتأليف . كانت

كالشيخ عبد الغني النابلسي : في الجمع بين علوم الدين · وعلوم الادب · وعلوم التصوف · وقد قال بعضهم ان الباعونية في نساء الخلف كالخنساء الشاعرة رضي الله عنها في نساء السلف .

(نسب الباعونية) هي عائشة بنت القاضي (يوسف بن احمد بن ناصر الدين) · وكنيتها ام عبد الوهاب · وشهرة بيتها (الباعوني) نسبة الى (باعونة) وهي قرية من قرى عجلون ·

(نشأتها وشيوخها) قالت هي تخبر عن أول نشأتها « وكان مما أنعم الله عليّ بحمده تعالى لم ازل اتقلب في اطوار الايجاد · في رفاهية لطائف البر الجواد · الى ان خرجت الى هذا العالم المشحون بمظاهر تجلياته · الطافح بعجائب قدرته وبدائع آياته · المشوبة موارده بالاقذار والاكدار · الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار دار ممر لابقاء لها الى دار القرار · فرباني اللطف الرباني في مشهد النعمة والسلامة · وغذاني بلبان مدد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة · وفي بلوغ درجة التمييز · أهلني الحق لقراءة كتابه العزيز · ومنّ عليّ بحفظه على التمام · ولي من العمر ثمانية أعوام · ثم لم ازل في كنف ملاطفات اللطيف · حتى بلغت درجة التكليف » · اه

ويفهم من كلام (الغزي) ان اهلها أخذوها الى مصر القاهرة للتحصيل فنالت من العلم نصيباً وافراً · واجازها شيوخها بالافتاء والتدريس ثم عادت الى وطنها دمشق الشام · وتلقت علم الفقه والنحو والعروض عن عدة علماء منهم الشيخ (اسماعيل الحوراني) · وقال الغزي انها تنسكت على يد السيد الجليل الشيخ (اسماعيل الخوارزمي) · ولا أحسب الا ان شيخيها المذكورين (اسماعيل الحوراني) و(اسماعيل الخوارزمي) واحد وقد تحرف احد الاسمين الى الآخر · وبعد الشيخ اسماعيل لازمت خليفته الشيخ يحيى الارموي · وتلقى عنها العلم طائفة من العلماء الاعلام ·

(ماقالوه في نعتها) قال الغزي في الكواكب السائرة : (هي الشيخة الاديبة العالمة العاملة الصوفية أحد افراد الدهر · ونوادر الزمان · فضلاً وعلماً وادباً وشعرا · وديانة وصيانة ·

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وقالت (زينب فواز) في تاريخها (الدر المنثور) : (كان على وجهها من الجمال لمحة جملها الأدب . وحلتها بلاغة العرب . فجملتها بغية الطالبين . ومنية الراغبين) ووصفها الشيخ عبد الغني النابلسي فقال : (فاضلة الزمان . وحليفة الأدب في كل مكان) . وقال غيره (ربة الفضل والادب . وصاحبة الشرف والنسب) .

« مؤلفاتها »

(١) « الفتح الخفي » — وهو يشتمل على كلمات لدنية . ومعان سنية .

(٢) « الملامح الشريفة والآثار المنيفة » — وهو يشتمل على اشادات صوفية . ومعارف ذوقية .

(٣) « درر الغائص في بحر المعجزات والخصائص » — هي قصيدة رائية .

(٤) « كتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية » — وهي أرجوزة اختصرت فيها كتاب « منازل السائرين » للشيخ الهروي .

(٥) « أرجوزة » — لخصت فيها كتاب « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع » للسخاوي .

(٦) « المورد الأهنا في المولد الاسنى » — وهو مطبوع وتوجد منه نسخة بخط يد المؤلفة الباعونية في خزانة كتب أحمد باشا تيمور في القاهرة .

(٧) « فيض الفضل » — وهو ديوان شعرها . وتوجد منه نسخة ايضاً في خزانة تيمور باشا .

(٨) « الفتح المبين في مدح الامين » — وهو شرح لها على بديعيتها المشهورة التي مطلعها :

(في حسن مطلع أقمار بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم)

والشرح في مجلد لطيف نحو مئة صفحة . أوله : الحمد لله محلي جياد الافهام بعقود مدح الشفيع . ومحلي سلامة الأذواق بمكرر ذكره الرفيع الخ . وقد فرغت من تصنيفه سنة (٩١٩) .

ولا يخفى ان السيدة الباعونية كانت صوفية متنسكة . وطلاب التصوف — وهم شيوخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريق — اذا ذكروا الحب والمحبوب · والمشموم والمشروب · فانما يريدون بذلك جميعه معاني تتعلق بحب الله تعالى · فالله محبوبهم · وبه وجدهم وهيامهم · واشهر الصوفية الذين أطلقوا هـذه الالفاظ على هذه المعاني في مناجاتهم الالآهية الشيخ عمر بن الفارض · فالسيدة عائشة الباعونية انما ارادت بكلمة العشاق في قولها (اصبحت في زمرة العشاق كالعلم) عشاق الحضرة الالآهية ·

* * *

نرجع الى بديعية الباعونية فنذكر لكم منها أبياتاً على سبيل النموذج :

(الجناس المذيل والتام) ·

(اقول والدمع جار جارح مقلي   والجار جار بعذل فيه متهم)

(الجناس المركب)·

(ياسعد ان أبصرت عيناك كاظمة   وجئت سلعاً فسل عن اهلها القدم)

(الجناس المصحف والمطلق)·

(فثم أقمارُ تمٍ طالعين على   طويلع حيّهم وانزل بحيهم)

(الجناس المخالف) :

(أحبـةٌ لم يزالوا منتهى أملي   وإن هموا بالتنائي أوجبوا ألمي)

(النزاهة) :

(عن ذمّ مثلك تبياني أنزّهه   إذ أنتَ عنديَ معدودٌ من النّعَم)

(الغلوّ) :

(وذكره كاد — لولا سُنّة سبقت   — إذا تكرر يُحيي باليَ الرمم)

(التفريق) :

(قالوا هو الغيثُ قلتُ الغيثُ آونةً   يهمي وغيثُ نداه لا يزال همي)

(تشبيه شيئين بشيئين) :

(كأنهم في عجاج النقع حين بدوا   بدورُ تمٍّ بدت في حندس الظلم)

(العَقْد[1]) :

(حسبي بحبك أن المرء يُحشر مع أحبابه · فهنـاني غير منحسم)

وعدد أبيات هذه البديعيـة نحو (١٣٠) بيتاً · وقد أجادت في معظمها وربما فاقت غيرها من أصحاب البديعيات في كثير من الأبيات · وقد تكفل ببيان إجادتها وتفوقها على غيرها الشيخ عبد الغني النابلسي في شرح بديعيته الذي سماه « نفحات الأزهار على نسمات الاسحار » وهو مطبوع ·

وقالت الباعونية في مقدمة شرح بديعيتها الذي سمته (الفتح المبين) ما نصه :

وبعد فهذه قصيدةٌ صادرة عن ذات قناع · شاهدةٌ بسلامة الطبـاع · منقحة بحسن البيان · مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان · سافرةٌ عن وجوه البـديع · سامية بمدح الحبيب الشفيع · مطلقة من قيود تسميـة الأنواع · مشرقةٌ في أفق الإبداع · موسومةٌ بين القصائد النبويات · بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة اهل الاشـارات (بالفتح المبين · في مدح الأمين) الخ الخ ·

ولم أرد أيها السيدات ان أستقصي الدلائل على مقدرتها في صناعتي النظم والنثر وانما أردتُ الإلماع الى ان المرأة يمكنها ان تتعلم وتنال من العلم حظاً وافراً تنتفع به · وتنفع الناس · كما كان من السيدة الباعونية ·

والذي يساعد النسـاء المسلمات على التحصيل والتفوق في العلم انقطاعهن في البيوت · فانهن بدل ان يقضين أوقاتهن في البطالة والزينة ولهو الحديث يمكنهن بسبب هذا الانقطاع أن يقضينهـا في المطالعة والدرس والتحصيل · فالبيت بالنسبة الى المرأة المسلمة كالمدرسة الداخلية التي يمكث فيها التلميذ ليلاً ونهاراً · فلا يعرض له مايلهيه ويشغله عن الدرس والتحصيل · وهكذا السيدة الباعونية عرفت كيف تستفيد من العُزلة والانقطاع في الخدر · فضربت بسهم وافر من العلم وحسن الذكر ·

***

(١) العقد هو أن يضمن الشـاعر شعره آية أو حديثاً أو حكمة وقد عقدت في هذا البيت حديث (يحشر المرء مع من أحب) ·

« شعرها »

وشعر الباعونية رشيق الاسلوب . سهل الألفاظ . لاغموض فيه ولاتعقيد . ومنه قولها تصف دمشق :

(نزّه الطرف في دمشقَ ففيها كلما تشتهي وما تختار)
(هي في الارض جنةٌ فتأمل كيف تجري من تحتها الانهار)
(كم سما في ربوعها كلُّ قصرٍ أشرقت في سمائه الأقمار)
(وتناغيك بينها صادحات خرست عند نطقها الأوتار)
(كلُّها روضةٌ وماءٌ زلال وقصور سكانها أبرار)

ومن شعرها البيتان المشهوران . قالوا انها نظمتها في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق وهما :

(بنى سلطاننا برقوق جسراً بأمر والانام له مطيعة)
(مجازاً في الحقيقة للبرايا وأمراً بالمرور على الشريعة)

لكن هنا اشكال تاريخي : وهو ان الملك (برقوق) بنى هذا الجسر سنة ٧٨٢ هـ وجعل طوله ١٢٠ ذراعاً وانتفع الناس به كما ذكر ذلك صاحب تاريخ (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) اما عائشة الباعونية فقد توفيت سنة (٩٢٢) اي بعد بناء الجسر بمائة واربعين سنة فلا يعقل انها كانت حية حين بنائه . فلعل الجسر تهدم واعاد خلفاء برقوق بناءه في زمنها فقالت البيتين ناسبة البناء الى برقوق لأنه اول من بنى .

ومن تشبيهاتها البديعة قولها في تشبيه خال في عنق مليح .

(كأنما[1] الخال تحت القرط في عنقٍ بدا لنا من محيا جلَّ من خلقا)
(نجمٌ غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا بقرب الشمس فاحترقا)

ومن شعرها :

(وصيرت بدر التم مذغاب مؤنسي أنيسي وقلت البدر منه قريب)

---

(١) رأينا حين إلقاء هذه المحاضرة على السيدات ان لا نذكر لهن هذين البيتين ومابعدهما من أشعار الحب والغزل لكننا ذكرناها للرجال .

(لحجبه عني الغمام بذيله فوا عجباً حتى الغمام رقيب)

ومن شعرها بلسان رجال التصوف قولها :

(حبيبي انت من قلبي قريب وعن سرّي جمالك لا يغيب)
(لبستَ الحسن في حال التجلّي فشاهدتُ الجمال ولا رقيب)
(وأبْدَتْ الوصال فلا صدودٌ ولا هجر ولا شيءٌ يريب)
(وُطفت عليّ في حان التصابي بكأس عيش شاربه يطيب)
(تنادمني وتسقيني مُدامي وتحضرني لديك فلا أغيب)
(وتذكرني وتشهدني جمالاً تقدّس أن يكون له ضريب)
(فلا خوفٌ وانت أمان قلبي ولا سُقم وانت ليَ الطبيب)
(ولا حزنٌ وانت سرور سرّي ولا سؤلٌ وانت لي الحبيب)

وأكرر القول بان شعرها هذا وما فيه من كلمات الحب والجمال والوصال والكأس والمدام — كله لم ترد به الباعونية الا الحب الالهي · ويفهم هذا المعنى جيداً من قولها في الشعر الغنائي :

(يا محبوبي يا مطلوبي · يامقصودي ياموجودي · كن لي كن لي · واجبر كسري وأغن فقري · بالتداني والوصال) ·

(حبك تيّم · فيك المغرم · ولي هيّم · لا بل أعدم · عقلي عقلي · قد حيرني قد شهرني · وأضناني بالدلال) الخ ·

فاسمعوا كيف قالت (اجبر كسري وأغن فقري) فهل يكون هذا الخطاب الا للربّ سبحانه وتعالى الذي هو وحده يجبر الكسر · ويغني الفقر ·

« البقية تأتي » المغربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العشر والخراج
« في الخلافات العربية »

أقرأ أحياناً لبعض المؤرخين والكتاب جملاً يشيرون فيها الى ثقل الخراج والضرائب الزراعية كافة في الشرع الاسلامي ، ايام الخلافات العربية القديمة . فهذا ينقل ان المنصور العباسي جعل خراج الحنطة والشعير في السواد (العراق) مقاسمة، وان ابنه المهدي جعل المقاسمة بالنصف في الارض التي تسقى سيحاً ، وبالثلث في الارض التي تسقى بالدوالي وبالربع في الأرض التي تسقى بالدواليب . ويستطرد الكاتب هذا المقدار ويسكت عن خراج المحاصيل الأخرى وعن الاعشار وعن اساس ضريبة الخراج والأعشار في الاسلام حتى يظن القارئ ان الخلفاء السابقين كانوا طغاة يرهقون الرعية اجمالاً .

وذاك ينقل عن الاصطخري ان خراج الجريب في شيراز حنطة اوشعيراً ١٩٠ درهماً دون تمعن في هذا الخلط الذي خلطه هـذا المؤرخ كما سنثبته بالأرقام . وذلك ينقل عن ابن حوقل ان القائد جوهر جبى خراج مصر سبعة دنانير على الفدان وهو يستكثر ذلك لكنه لايذكر لنا هل دامت هذه الجباية اكثر من سنة الخ .

ولما كانت هذه القضية ذات مكانة تتعلق بأساس العدل في الشرع الاسلامي ، وفي الخلافات الاسلامية الأولى ، جئت بهذه المقالة الموجزة مثبتاً ان العرب كانوا في الجملة عادلين في وضع الضريبة الزراعية على اشكالها ، وانهم كانوا أعدل من بعض الدول المتمدينة .

ولنراجع في هذا الصدد كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الخراج لابن آدم القرشي ، نجد ان المسلمين عندما فتحوا الفتوح في صدر الاسلام ودوخوا الممالك وملكوا

بلاد الأكاسرة والقياصرة اقروا الاكارين على ارضهم حتى في البلاد التي فتحوها عنوة كسواد العراق مثلاً فانالشرع وقواعدالحرب في تلك الأيام كانت تبيح لهم الاستيلاء على بلاد العدو التي يظهرون عليها ، ومع هذا عفت نفوسهم عن ذلك ولم يروا فيه حكمة ، فابقوا الناس قائمين على استغلال ارضهم ، على ان يدفعوا شيئاً كالخراج .

اما الارض التي صالح اصحابها ، فمن البديهي انها لبثت لهم ولم يلزموا الا بخراجها او بما صولحوا عليه . وأما الارض التي هجرها اصحابها لسبب من الاسباب والارض الموات فهذه وزعت على المسلمين فصاروا يدفعون عشر غلاتها الى بيت المال (وهي الصدقة او الزكاة) اذا كانت الزروع والأشجار تسقى سيحاً ونصف العشر اذا كانت تسقى بالتعب ، وكل ذلك اذا كانت غلتها فوق خمسة اوسق من الحبوب او الثمار ، اما التي غلتها دون ذلك فلا يؤخذ عنها شيء . والوسق في صدر الاسلام كما حققه المستشرق زمبور (Zambaur) في معلمة الاسلام ١٣٧ كيلو غراماً تقريباً . فكأن الشرع ترك للفلاح وأسرته ٦٨٥ كيلو غراماً اي مؤنة سنة بلاضريبة او كأنه استثناه من الضريبة مادامت غلاته من ارضه الصغيرة دون خمسة اوسق وهو منتهى العدل ، ولا أظن ان حكومة من حكومات هذه الأيام يبلغ بها البر بالفقراء هذا المبلغ حتى حكومة البلاشفة اي حكومة الصعاليك كما يسميها بعضهم .

ومن المعلوم ان الحجاز واليمن وكل جزيرة العرب كانت تدفع العشر وليس عليها خراج ، وان كل ارض أسلم عليها أهلها فهي ارض عشر ايضاً ، وانه اذا أقطع مسلم ارض الخراج فللامام ان يصير عليه خراجاً اوعشراً اوعشراً ونصفاً او عشرين لكن كثيراً من الأمثال كانت تدل على ان العشر هو ما كان يفرض في الغالب . ولما كانت الارض تتحول في انحاء الممالك الاسلامية بمرور الزمن الى ايدي المسلمين لأسباب شتى صارت ارض العشر تزداد كما صارت ارض الخراج تنقص . والعشر كما لايخفى ضريبة لابأس بها ، خصوصاً في الاعذاء والبخوس حيث الأمطار تتفاوت مقاديرها بين سنة وسنة ، وحيث يجوز ان يمحل اقليم بكامله مرة في كل بضع سنوات . وليس استيفاء عشرة في المائة او خمسة في المائة من المحصول ضريبة كبيرة في تلك الايام ، ولا يتأتى للمنصف ان يجد هذه الضريبة ثقيلة الوطأة على الاكارين واصحاب الارضين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـذا في أرض العشر أما أرض الخراج فهي تحتاج الى قليل من الايضاح . ولنتخذ سواد العراق مثلاً فان عمر بن الخطاب (رض) وضع على الجريب قفيزاً ودرهماً . وقال بعضهم انه وضع على جريب الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين . فالجريب مساحته ٣٦٠٠ ذراع مربع اي ٩١٩ متراً مربعاً تقريباً وهومايسميه الترك دونماً . ويبذر في جريب من الأرض المسقوية الجيدة كأرض السواد ١٨ كيلو غراماً من الحنطة تغل نحو ١٥٠ كيلو غراماً ثمنها اليوم على هبوط اسعار الحبوب ٥٢٥ قرشاً سورياً اي ٨٤ قرشاً مصرياً ذهباً .

وجاء في مجلة الاسلام ان الدينار ٤٫٢٥ غرام من الذهب (اي بوزن خمسين قرشاً مصرياً ذهباً) وان وزن الدرهم على أصح تحقيق ٢٫٩٧ غرام من الفضة وان نسبة قيمة الفضة الى قيمة الذهب في صدر الاسلام كنسبة واحد الى اربعة عشر ، فيكون الدينار مساوياً لعشرين درهماً تماماً . وعلى هذا تكون قيمة الدرهم قرشين ونصفاً من القروش المصرية الذهبية يمكن ان يُشترى بها اليوم ٥٫٤ كيلو غرام من الحنطة . فاذا فرضنا مع كثير من المحققين ان قيمة النقود في تلك الأيام كانت ثلاثة أمثالها في أيامنا هذه أمكن شراء ١٣٫٥ كيلو غرام من الحنطة بدرهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما القفيز في صدر الاسلام فهو يعادل ٢٧٫٥ ليتر اي ٢١ كيلو غراماً ونيفاً (وزن الليتر من الحنطة المتوسطة الجودة ٠٫٧٧ كيلوغرام) . فاذا أضفنا وزن القفيز من الحنطة وهو ٢١ كيلو غراماً الى ما كان يمكن ابتياعه بدرهم وهو ١٣٫٥ كيلو غرام بلغ المجموع ٣٤٫٥ كيلو غرام واذا نسبنا هذا المقدار (وهو الخراج اي قفيز ودرهم) الى محصول الجريب وهو ١٥٠ كيلو غراماً من الحنطة بلغ الخراج ٢٣ في المئة من غلة الحنطة في الجريب .

هذا ما حققناه نحن . أما اذا حسبنا مع الماوردي ان ثمن القفيز من الحنطة كان ثلاثة دراهم يكون الدرهم ثمن سبعة كيلوغرامات من الحنطة . ويكون الخراج ٢١ + ٧ = ٢٨ كيلو غراماً اي دون ١٩ في المائة من غلة الجريب . والدرهم سبعة اعشار المثقال لكنه جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٣١) ان الدرهم أيام عمر (رض) كان كبيراً بوزن المثقال فعلى هذا يكون الدينار عند ذاك ١٤ درهماً ويكون الدرهم ٣٫٥٨ قرش

مصري ذهباً يمكن أن يشترى بها اليوم ٣ ر ٦ كيلوغرامات من الحنطة وفي تلك الأيام ثلاثة أمثالها أي ١٩ كيلوغراماً . ويكون مجوع الخراج من قفيز ودرهم ٤٠ كيلوغراماً أي ٢٦ ر ٦ في المائة من المحصول .

واذا حسبنا الحساب نفسه لغلة جريب من الشعير ، او لمحصول جريب من الكرم وهو يغل ألفاً الى ألفي كيلو غرام من العنب ، او لمحصول جريب من النخل ومتوسط ما يحويه عشرون نخلة تحمل واحدتها مائة كيلو غرام من البلح ، او لجريب من الخضر الخ . نجد ان الخراج يختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة من محاصيل هذه الأنواع النباتية .

وبعد فمها تكن نسبة الخراج الى الغلة في الجريب ، فهذا الخراج ما كان ثقيلاً على فلاحي السواد للأسباب الآتية خاصة ، وهي كون الخراج كان مقطوعاً عن سنة كاملة على حين أن الأقاليم الحارة ، كالسواد في العراق وكالغور في الشام ، اعتادت زرع نوعين نباتيين في سنة واحدة وهذا متيسر في كل أرض حارة غزيرة المياه كثيرة الدمال فالجريب من الحنطة مثلاً كان خراجه قفيزاً من الحنطة ودرهماً في السنة لكن الفلاح كان يستغله في كثير من الأحايين ذرة او سمسماً او خضراً بعد حصاد الحنطة في السنة نفسها وما كان يدفع خراجاً عن تلك الزروع الصيفية التي تعقب الحنطة لأن الامام عمر نهى عن ذلك وجعل الخراج على جريب الحنطة في سنة كاملة مهما استغل الأكار ذلك الجريب في تلك السنة .

والجريب من النخل ايضاً كان خراجه ثمانية دراهم لكنه كان بالامكان زرع زروع سنوية شتى تحت النخل دون ان يحمل عليها لبيت المال شيء وهكذا .

فيتضح من ذلك ان الخراج في صدر الاسلام ما كان ثقيلاً في السواد البتة ، وانه ما كان يزيد على عشر غلات الأرض الا قليلاً في الجملة . وقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٤٤) ان عمر (رض) سأل عثمان بن حنيف (وكان انتدبه للنظر في خراج السواد) : « انظر لا تكون حملت الأرض ما لا تطيق فقال عثمان حملت الأرض امراً هي له محتملة ولو شئت لأضعفت ارضي » يريد بذلك انه كان في وسعه مضاعفة خراج ارضه الخاصة دون ان يرهقها بثقل تلك الضريبة .

وجاء في (ص ٤٩) ان عبد الملك بن مروان جعل في الجزيرة والشام والموصل على

كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً وعلى كل الف اصل كرم مما قرب ديناراً وعلى كل الفي اصل مما بعد ديناراً . وعلى كل مائة شجرة مما قرب من الزيتون ديناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً . وكان غاية البعد مسيرة اليوم واليومين واكثر من ذلك . فالجريب من الأعذاء في الشام يبذر فيه ١٣ كيلو غراماً (١) ويستغل منه ٧٠ كيلو غراماً فتكون غلة مائة الجريب ٧٠٠٠ كيلو غرام . ولما كان بالامكان شراء ١٣٢٥ كيلوغرام من الحنطة بدرهم كما مر ذكره وكان الدينار ٢٠ درهماً في الفرط عادل ذلك الدينار ٢٧٠ كيلو غراماً من الحنطة اي نحو ٤ في المائة من غلة مائة الجريب . واذا فرضنا ان الفلاح استغل نصف هذه المساحة وترك نصفها ترتاح ما زادت هذه الضريبة على ٨ في المائة من الغلة اي اقل من العشر . وكل ذلك حول المدن والبلدان ، اما على الأرض البعيدة فلم يجعل الخليفة المشار اليه الا نصف تلك الضريبة .

والف الأصل من الكرم تغرس في اربعة اجربة تقريباً وتغل ٤٠٠٠ — ٨٠٠٠ كيلو غرام من العنب . فالدينار اليوم يمكن ان يبتاع به ١٥٧ كيلوغراماً من العنب . فاذا فرضنا انه كان يمكن شراء ثلاثة امثالها في تلك الأيام اي ٤٧١ كيلوغراماً وفرضنا ان معدل غلة الف الأصل من الكرم ٦٠٠٠ كيلوغرام بلغت ضريبة الدينار ٨ في المائة من منتوج الكرم في القريب من الأرض و٤ في المائة في البعيد منها .

ويخلص ذلك بأن الضريبة الزراعية في بلاد الشام والموصل والجزيرة سواء أكانت عشور الغلات او كانت مقطوعة كما في ايام عبد الملك بن مروان فانها كانت عادلة في الجملة .

ولبث العشر والخراج في الممالك الاسلامية على ما ذكرنا الى ايام المنصور العباسي . ومن البديهي ان الحروب والفتن ايام الأمويين جعلت الخراج في السواد خاصة فاحشاً على كل ارض يضطر اصحابها الى تركها بلا زراعة في سنة من السنين . لكن هذا الحال شاذة لاتتخذ دليلاً على ثقل الخراج في ذاته . ولو ان العباسيين عندما اتخذوا بغداد عاصمة لهم ووجهوا نظارهم الى السواد ووطدوا فيه الأمن وكروا انهاره الكبيرة وعطفوا على اكرته

(١) جميع ارقامنا في هذه المقالة متوسطة ومن البديهي ان مقدار البذار في المساحة الواحدة يختلف بمختلف كور الشام (انظر ص ٣٤١ من كتاب الزراعة العملية الحديثة) .

قلت لو انهم ابقوا الخراج عند ذلك على حاله اي بالمساحة على كل ارض مستغلة بدلاً من جعله بالمقاسمة لكانوا في عملهم اعدل . والمنصور هو الذي جعل خراج السواد بالمقاسمة . ويظهر ان المقاسمة كانت بالنصف ايام المهدي في الارض التي تسقى سيحاً اي بلا تعب وبالثلث في الأرض التي تسقى بالدوالي وبالربع في التي تسقى بالدواليب . اما النخل والاشجار السائرة فلبث خراجها بالمساحة كما كان في صدر الاسلام . ويظهر ان المأمون انزل النصف الى خمسين فيما تسقى سيحاً .

فهذا الخراج هو ما يستثقله الكتاب والمؤرخون خاصةً وهو في الحقيقة ثقيل لكنه لم يدم طويلاً عدا ان له مبررات لا يجوز ان يضرب بها عرض الحائط وهي ان بيت المال كان ينفق وحده على حفر الأنهار واصلاحها وصنع المسنيات (الأسداد) وسد البثوق ، وكان ايضاً يشاطر الأكارين نفقات كري الأنهار العظام . ثم يجب ان لاننسى انمالك الأرض هو الامام ، وان الفلاحين كانوا يعدون شركاء في استغلال الأرض ، ولذلك كان الناس لا ينكرون على بيت المال استيفاءه نصف الغلة او ثلثها او ربعها من غير المسلمين الذين أبقوا في ارضهم في السواد ، على حين انهم من غُلبوا على بلادهم . افلسنا نرى اليوم اصحاب الأرض المسقوية يستوفون ربع الغلة وثلثهـا حتى نصفها من الفلاحين الذين يقومون بجميع نفقات استغلال الأرض وتثميرهـا . ومن البديهي أن صاحب الأرض هو الذي يعطي بيت المال ضريبة الأرض في جملة حصته المذكورة . ومع ذلك نعرف كثيراً من الكور ترفع فيها الضريبة من مجموع الغلة ثم يتقاسم صاحب الارض والفلاح الباقي على ثلث وثلثين .

هذه هي المعلومات التي يركن اليها في كتب الخراج وكتب التاريخ اما ما جاء به بعض المؤرخين من الخلط فشيء كثير . ويجب على الكتّاب والمؤلفين ان يمحصوها قبل اتخاذها دليلاً على ظلم الخلافات العربية للرعية . مثال ذلك ما جاء في الصفحة ١٥٧ من المسالك والممالك للأصطخري (طبعة ليدن سنة ١٨٧٠) وهو ان خراج الجريب حنطة أو شعيراً في شيراز من بلاد فارس كان ١٩٠ درهماً وان الجريب هناك كبير يساوي ثلاثة اجربة وثلثين من الجريب الصغير (الجريب الصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً من ذراع الملك وهو الذي تناوله بحثنا) فاذا كان الدرهم الذي ذكره الأصطخري هو الذي عرفناه اي الذي

كل عشرين واحداً منه في القرط تساوي ديناراً تكون المائة والتسعون درهماً كافية لشراء ٢٠٥٦ كيلو غراماً من الحنطة في تلك الأيام (١٣٦٥ كيلوغرام بدرهم) على حين ان ثلاثة الاجربة وثلثي الجريب تنتج ٥٥٠ كيلو غراماً (غلة الجريب ١٥٠ كيلوغراماً في الأرض المسقوية) فتكون النتيجة على رأي الأصطخري ان الخراج في شيراز يفوق اربعة أمثال ما تغله الأرض فأي عقل يقبل هذا القول . اما اذا كان الدرهم الذي ذكره الأصطخري شيئاً لا نعرفه وكانت قيمته أدنى بكثير من قيمة الدرهم المعروف فعندئذ يزول العجب لكنه يجب في هذه الحال ان لا يتخذ قول الأصطخري حجة على ظلم العرب للأكارين .

ومثاله ايضاً ما نقل عن ابن الأثير من ان خراج الفدان في المغرب ايام عباس بن ابراهيم بن الأغلب بلغ ٨ : ديناراً واستعظم الكتاب هذا المبلغ لكنهم لم يفكر احدهم بما يمكن ان تكون مساحة الفدان . فهي اذا كانت فداناً مصرياً أو فداناً خطاطاً دمشقياً كان كلام ابن الأثير خطأ لا يعول عليه البتة لأن الثمانية عشر ديناراً في تلك الأيام تفوق ثمن مجموع غلة الفدان اضعافاً . اما اذا كان الفدان كما في اعذاء الشام اليوم اسي أكثر من مائة جريب غالباً لا يبقى عندئذ وجه للانتقاد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخلاصة ان العرب في إبان مجدهم الزاهر ما كانوا يستوفون من الفلاحين ضرائب كبيرة اجمالاً . واذا ظلم بعض العمال الرعية أحياناً لحاجة الى المال في حرب عدو او اخماد فتنة ، او اذا عاقب بعض الخلفاء سكان احدى الكور بمضاعفة الخراج لعمل شائن اتوه فليس من العدل في شيء ان تتخذ ذلك ذريعة للطعن في الخلافات الاسلامية العربية في الجملة . ثم ليُنعم القارئ النظر في قروض الدول الأوربية الكبرى من رعاياها ومن بعضها بعضاً افلا يجد ان كثيراً من المال المقرض يذهب هدراً او يذهب قسم كبير من فائدته على الأقل بنتيجة الحروب والازمات الاقتصادية فأي فرق من حيث النتيجة بين هذه الخسارة التي يخسرها الشعب وبين مضاعفة الخراج لأسباب قاهرة . وليبحث عن الضرائب التي تستوفيها تلك الدول من رعاياها ولا سيما الضرائب المتصاعدة افلا يجدها اثقل مما كانت تستوفيه الدول العربية . وبعد فحبذا الانصاف في التاريخ ووُقينا شر الشعوبية والحمراء .

مصطفى الشهابي

تاريخ سورية المجوفة

لمعة تاريخية منه في أدبائها وعلمائها

بقلم مؤلفه عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

تمهيد

سبقت لي كلمة في وصف (تاريخ سورية المجوفة) الذي وضعته بتطويل ولا يزال مخطوطاً وذلك في هذه المجلة في المجلد السادس والصفحة ٢٨٩ — ٢٩٤ في سنة ١٩٢٦ م ونقلت منه قطعة مختصرة في تحليل الاعلام ونشرت اشياء منه في مجلة المقتطف والمقتبس والعرفان والآثار وجريدة البشير وغيرها من الصحف ايضاً كامثلة تدل عليه وتعرّفه للطالبين ووعدت بانتخاب غير ذلك لهذه المجلة فهاك الآن لمعة عن أدباء سورية المجوفة وعلمائها أقتطفها من مباحثه المطولة فأقول :

أدباء سورية المجوفة وعلماؤها

نشأ في هذه البقعة عدد كبير من العلماء الاعلام قديماً وحديثاً . ممن استللت تراجمهم من كتب كثيرة مخطوطة ومطبوعة بحسب ما وصلت اليه يد البحث والتنقيب على قلة المصادر وتبعثر الكتب المخطوطة في المكاتب الشرقية والغربية ، وصعوبة الحصول على ماضٍ به مقتنوها أو حفظوه لم قل آلُ جهداً في التتبع والاستعلام حتى حصلت على ما ربما يروي الغليل من تلك الآثار التي تناولت بلدان وادي التيم ووادي بردى والغربي وبلاد بعلبك والبقاع الى ما يحيط بها من الأماكن . فاقتصر الآن على علماء بلاد بعلبك فقط .

ادباء بعلبك

كانت هذه المدينة المشهورة بآثارها القديمة العجيبة مظهراً من مظاهر العظمة وميداناً للعبادات القديمة والأساطير الغريبة فنبغ فيها المتفننون من بنائين ونقاشين ومصورين ورياضيين وفلكيين ومهندسين ومخترعين ومؤلفين كما تشهد بذلك أعمالهم الباقية وأبنيتهم الشامخة ونقوشهم الرائعة وهندستهم الفائقة وتآليفهم الشائقة ٠

وكانت بعلبك فوق ذلك ولاسيا في ايام العرب دارعلم وحديث ومباءة للعلماء يرحلون اليها في طلب المعارف وتحقيق الدروس فقصدها كثير منهم حصلوا فيها ما حصلوا بالدرس على علمائها ونبغ من ابنائها وما يجاورهم كثير ممن تشهد لم آثار اقلامهم الى اليوم ٠

فروى المؤرخون ومنهم الحافظ ابن عساكر المشهور في تاريخ دمشق المطول[1] عن جماعات نشأوا فيها وتخرج عليهم من قصدهم من الطلاب ٠ وذكر غيره كثيراً ممن رحل الى بعلبك ومنهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي مؤلف الألفية في النحو الذي سكن بعلبك وقرأ عليه فيها جماعة ٠

(فمن المهندسين) كالينكوس البعلبكي الذي كان في القرن السابع للميلاد وهو مخترع (النار اليونانية) وهي كرات خزفية رمانية الشكل او صنوبرية محشوة بالنفط والكبريت والقطران وأشباهها من المواد المشتعلة والمتفجرة تشعل بفتيل داخل فيها فتنفجر وتدك الابنية والحصون وكان اول استعمالها في مهاجمة معاوية بن ابي سفيان الأموي للقسطنطينية فردته تلك النيران عن فتحها وفي متحف مجمعنا العلمي في دمشق كثير منها ٠

وقسطا بن لوقا البعلبكي اليوناني المسيحي المشهور بالهندسة والرياضيات والفلسفة والفلك

---

(١) طبع من هذا التاريخ الذي هذبه المرحوم الشيخ عبد القادر بدران خمسة مجلدات قبل الحرب وطوي نشر الباقي الى ان قام بهذا العمل صديقنا الأستاذ احمد افندي عبيد الدمشقي صاحب مكتبة العرب فنشر المجلدين السادس والسابع بضبط وجودة طبع وحواش ٠

ومما طبع من مؤلفات قسطا (كتاب الفلاحة اليونانية) تعريبه طبع بمصر سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦ م) في ١٤٩ صفحة ٠ وكتاب (في رفع الأثقال) صححه البارون كرّادي قو ٠طبعه في باريس سنة ١٨٩٤

والموسيقى والطب وبمعرفة اللغات الكثيرة وبالبراعة في الترجمة وبجودة القريحة وطلاوة الانشاء . وهو معاصر ليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف الاسلام . ذكره ابو الفرج الملطي بقوله : «فلوقلت حقاً انه أفضل من صنّف كتاباً لما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من اختصار الألفاظ وجمع المعاني» توفي سنة ٢٩٦ ﻫ (٩٠٨ م) في بلاد ارمينية ومؤلفاته أكثر من مائة بين تأليف وترجمة وتصحيح من رسائل ومجلدات في جميع الفنون والعلوم منها (كتاب الفردوس في التاريخ) و(مراتب قراءة الكتب الطبية) و (آداب الفلاسفة) و (والفرق بين النفس والروح) و (ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة) و (شكوك كتاب اقليدس[1]) وغيرها . قال عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع الطبيب النسطوري المشهور : « إن قسطا اجتذبه سنحاريب الى ارمينية واقام فيها فاقترح عليه ابوالغطريف البطريق من اهل الفضل تصنيف كتب كثيرة في اصناف العلوم فوضعها » .

ومن متأخري مهندسيها ابوبكر بن البصيص البعلبكي الذي ذكره صالح بن يحيى البحتري في (تاريخ بيروت) انه استقدم سنة ٧٤٤ ﻫ (١٣٤٣ م) لبناء جسر الدامور وله اعمال في بلاد طرابلس وجسر نهر الكلب القديم كان من بنائه .

« ومن شعرائها » : عماد الدين ابوالفضل حسان بن سلطان بن رافع البونيني (نسبة الى قرية يونين من اعمال بعلبك) الفقيه الذي انشد :

لقد منعتني عن سليمى ثلاثة … اذا مااستعار الجو ثوباً من الهجر
ضياء محيّاها وجرس حليها … ونفحة نشر دونه عبق العطر
هب أن المحيّا قنّعته ببرقع … وحلت حلاها كيف تفعل بالنشر

وحسان بن ابان الذي كان في زمن المتوكل على الله العباسي في القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد ومن شعره قوله :

اكتسب مالاً تعيش به … ليس عيش المرء من نسبهْ
عربيٌ لا يسار له … صقليٌ القدر في حَسَبهْ

(١) نشرت بعض رسائله في اوربة والشرق ووقفت على كثير من المخطوط منها وفي خزانتي ردٌّ قسطا على ابن المنجم ورسالة هذا اليه وردّ حنين بن اسحق على ابن المنجم ورسالة هذا اليه .

وتراهم خاضعين له ... ما بدا يختال في نشبه
أمرا فيهم وكلهمُ ... باسط كفًا الى سببه
طمعًا في نيل فضته ... ليس الا ذاك أو ذهبه
وأديب قد رثيت له ... ما له عيب سوى أدبه
جاءهم فاستدفعوه كما ... يُتّقى ذو الداء من جربه
دع لذي جهل تماديهُ ... في الذي يدنيه من عطبه
وتوقَّ ما يُساء به ... ان جبن الكلب في كَلَبه

والحسن بن جعفر بن حمزة ابو محمد الأنصاري البعلبكي المعروف بابن بريك قيل انه من وُلد النعمان بن بشير . وكان يتهم بالرفض توفي سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ومن شعره قوله في أبيات :

قابل البلوى اذا حلّت بصبر ومسرّه
فلعلَّ الله أن يوليك بعد العسر يسره
كم عهدنا نكبة حلّت فولّت بعد فتره

ARCHIVE

وقوله من قصيدة :

كأن صروف الدهر لم تلق منزلاً ... تحلُّ به غيري فحلّت بجانبي
فاصبحت من وشك الفراق وبينهم ... من السقم اخفى من دبيب بحاجبي
سميري اذا ما الليل ارخى جرانه ... لما بي من وجدٍ مسير الكواكب
فمالي والدهر الخؤون كأنما ... جنيت لجازاني ببعد الأقارب
فليت الليالي اذ ولعنَ ببيننا ... جعلن الردى مقرونة بالمعاطب
ابى الدهر الا شتّ شمل وفرقة ... وروعة محجوب بغيبة صاحب
واني لذو صبر على كل نكبةٍ ... وقد هذّبتني للأمور تجاربي
وذلك طبعي قبل ان يصدع النوى ... فمذ صدعت سدّت عليّ مذاهبي

وبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول والمخلاة ولد في بعلبك سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) وتوفي بالمصلّى من قرى البحرين سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) وله موشحات واشعار بليغة منها

ما ارسله الى والده الشيخ الحسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمذاني او الى غيره من أدباء عصره • فمن قوله لوالده :

بقزوين جسمي وروحي ثوت … بارض الهراة وسكانها
فهذا تغرب عن أهله … وتلك اقامت بأوطانها

وقوله في الموت :

ان هذا الموت يكرهه … كل من يمشي على الغبرا
وبعين العقل لو نظروا … لرأوه الراحة الكبرى

والأمير موسى الحرفوشي امير بعلبك ابا عن جد[1] توفي سنة ١٠١٦ هـ (١٦٠٧ م) بدمشق وهو الملقب (الحرّان) لمواقعه الحارة فانه حاصر خمسة باشوات مع جيشهم في بعلبك وضواحيها وهو وحده فقاتلهم ولم ينالوا منه شيئاً ومن شعره قوله لما فتح غزيراً في لبنان :

غزير طور ونار الحرب موقدة … وانت موسى وهذا اليوم ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا … ولا تخف ما حبال القوم حيات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن نظمه قوله مفتخراً :

كأن رأس جيوش الضدّ ليس له … علم بأن بلادي موطن الأسد
ومن مهابة سيفي في القلوب غدت … أم العدوّ لغير الموت لم تلد
فليرقبوا صدمةً مني معوّدةً … أن لا تقرّ لها الأعداء في البلد
ألست نجل عليّ وهو من عرفوا … منه المخافة في الأحشاء والكبد
وانني انا موسى منه قد ورثت … كفي سيوفاً تذيب الأرض في الجلد

وامير شعراء الحرافشة هو الامير محمد بن علي الحرفوشي الحريري العاملي الدمشقي توفي سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) وله مصنفات كثيرة رأيت اكثرها في دمشق منها (اللآلي الدرية في شرح الاجرومية) في مجلدين و (شرح التهذيب في النحو) • و (نهج النجاة في ما اختلف فيه النحاة) قال البديعي في ذكرى حبيب « انه كتاب لم ينسج على منواله يعرب

(١) وضعت تاريخاً مطولاً للأمراء الحرافشة ومشاهيرهم وانسابهم وقد نشرت منه أمثلة في مجلة العرفان (في صيدا) واستنسخت ما قيل عنهم في مكاتب اوربة وذلك لأن أجدادي كانوا مقرّبين منهم ونافذي الكلمة لديهم •

عن غزارة فضله » و (طرائف النظام ولطائف الانسجام) في محاسن الاشعار وغيرها وله الشعر الذي قال فيه البديعي انه : « الشعر الذي ديباجة الفاظه مصقولة ٠ وحلاوة معانيه معسولة » وقال المحبي : وكان في الشعر مكثراً محسناً في جميع مقاصده » فمن شعره قوله في الخال وله فيه مقاطيع بليغة كثيرة :

قال لي من غدا امام أولي الفضـ ... ـل ورب المباحث الفلسفية
ان عندي برهان حق على ... نفي الهيولى والصورة الجسمية
قلت : ماهو (؟) فقال شامة حي ... قد غدت وهي نقطة جوهرية

وقوله من قصيدة في مدح الأمير محمد الفنجكي وأبدع في وصف السيف والجواد بقوله :

فدارك حيث صادفت اعتزازاً ... واهلك ذو الحفيظة والوداد
ولاتصحب سوى عضب صقيل ... تعشّق متنه ضرب الهوادي
صقيل الصفح رقّ وكاد لولا الـ ... ـجفين يسيل من طرف النجاد
تخالـ به وليس به غديراً ... ترقرق او سعيراً ذا اتقاد
وتحسبه اذا ما استل برقاً ... تألق في الدجى غبّ العهاد
والا ظهر سرحوب سليل الفحول من ... المطهمة الجياد
يرى عاراً مسابقة النعامى ... ويأنف نعله مسّ الصلاد
فلو وطئ القطا ما ارتعن منه ... نياماً وانتبهن من الرقاد
بدا كالخيزرانة من نحول ... من الادلاج في مجل البوادي
يمرّ على الغدير به غليل ... فيهجره لفرط الاجتهاد
تساوى عنده حزن وسهل ... وآكام مروّعة ووادي

ومن متأخري شعراء بعلبك في القرن الثاني عشر للهجرة ابوالحسن علي بن محمد الشمعة من بيت علم وفضل فمن شعره قوله في كتاب (التحفة الظريفة) للسيد حسن بن عثمان الحكيم الذي جمعه سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) :

ابدى لنا الحسن الشريف لطائفاً ... قد صاغها لذوي النهى مجموعا
كل المفرّق من محاسن عصره ... اضحى لدى (مجموعه) مجموعا

وقوله مضمناً :

لما بفكري مرَّ طيف خياله   واردتُ انظر وجنة لم تلثم
كادت تسيل لطافة لكنه   «من عادة الكافور امساك الدم»

وقوله مشطراً لبعضهم :

« أحمامة الوادي بشرقيّ الغضا »   قد طاب مغناك ولذّ لمسمعي
ورميتِ في قلبي تباريح الجوى   «ان كنت مسعدة الكئيب فرجعي»
« انّا تقاسمنا الغضا فغصونه »   لك معهد يسقى بسحّ الأدمع
وظلاله لي موطن وزهوره   « في راحتيكِ وجمره في أضلعي »

ومنهم من نبغ في هذا العصر مثل شاعر القطرين خليل بك المطران ٠ والشيخ علي النقي زغيب والمرحوم عساف الكفوري وغيرهم ٠

زحلة :   عيسى اسكندر المعلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التدوين في الاسلام

كتب سيدي عبد الحي الكتاني احد اعضاء مجمعنا في المغرب الأقصى مقالاً في موضوع التدوين والتصنيف في الاسلام نشره في (مجلة المغرب) فرأينا ان ننشر خلاصته في ما يلي :

ابتدأ التدوين في الاسلام بعد الهجرة فكان للنبي صلى الله عليه وسلم كتب في الصدقات والزكوات وكتابه الى أهل اليمن بانواع الفقه وكتبه الى الملوك وأمراء الأطراف وقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يقيدوا له في ديوان من أسلم قال وهو اصل الديوان العمري الذي صار فيما بعد أقنوماً يرجع اليه في معرفة أنساب القوم وسوابقهم في الاسلام .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجمع ابو بكر وعمر وعثمان القرآن في مصحف . وجعل عمر تابوتاً لجمع صكوكه الرسمية ومعاهداته الأممية . وكتب ابن عباس الفتاوى التي كان يُسأل عنها . ودوّن ابن زيد في الفرائض والمناسك . وغير هؤلاء كثيرون من الصحابة والتابعين : منهم عبيد بن شرية الذي دون كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين بطلب من معاوية رضي الله عنه ودوّن (علاقة بن كرم الكلابي) في عهد يزيد بن معاوية (كتاب الأمثال) في نحو خمسين ورقة . وكتاب مثله لصحار العبدي . ولأبي مخنف الأزدي من اصحاب علي رضي الله عنه كتب : في (الردة) و (فتوح الشام) و (فتوح العراق) و (الجمل) و (صفين) و (النهروان) و (الخوارج) ومقتل علي ومقتل محمد بن ابي بكر ومقتل الأشتر ومقتل عثمان ومقتل الحسين و(الشورى) و(وفاة معاوية وولاية يزيد) و(وقعة الحرة) و(حصار ابن الزبير) و(المختار بن ابي عبيد) و(مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحاك بن قيس) و(مصعب وولاية العراق) و(مقتل عبد الله بن الزبير) و(مقتل سعيد بن العاص) و(حديث حمير)

و(مقتل ابن الاشعث) و(بلال الخارجي) و(حديث الأزارقة) وغير ذلك من حوادث ذلك العصر وقد سرد في الفهرست أسماء عدة كتب صنفها السلف في تفسير القرآن ونزوله وأحكامه . وقال ياقوت (كان خالد بن يزيد يقول كنت معتنياً بالكتب وما أنا من العلماء ولا من الجهال) ومن تصانيفه (السر البديع في الرمز المنيع) في الكيمياء و(كتاب الفردوس) وغيرها . ويظهر ان ابا بكر رضي الله عنه اول من بدأ في التدوين بدليل ما في كتاب (التعريف) لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن اسحق الأموي في ترجمة ابي بكر قال (كان عمر قاضيه . وعثمان كاتبه . وسعد مولى مصاحفه) والمراد بالمصاحف عندهم الكتب فهذا يدل على أن ابا بكر كان لديه كتب كثيرة تحتاج الى قيم يلي أمرها لكثرتها . ثم مازالت تزداد الى زمن عمر الذي كان له صندوق اوقادوس يجمع فيه عهوده مع الأمم كما في خطط المقريزي (جزء ٢ ص٧٤). وامر الديوان الذي دونه عمر بأسماء الناس ومراتبهم معروف . الى ان كان زمن عثمان فبالغ الناس في الوراقة وتجويد الكتابة والاعتناء بزخرفة الكتب . وفي كتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد (قال ابن القاسم: وأخرج الينا مالك مصحفاً لجده فحدثنا انه كتب على عهد عثمان بن عفان فوجدنا حليته فضة وأغشيته من كسوة الكعبة) فدل ذلك على حالة الوراقة يومئذ وعلمهم بكيفية تحليل الفضة وتحلية الكتب بها وجعل الأغشية لها حتى من كسوة الكعبة . وفيه ايضاً (قال مالك كان قاض في زمن عثمان رضي الله عنه (أو في زمن ابنه أبان[1]) رفعت اليه كتب تقادم أمرها والتبس الشأن فيها فأخذها (ذلك القاضي او أبان نفسه) وأحرقها بالنـار . فقيل لمالك أفحسن ذلك ؟ قال نعم (إني لأراه حسناً) وكانت هـذه الكتب في الخصومات التي تقادم عهدها حتى التبس امرها على الحكام وكان غرضه من إحراقها ان يستأنف اصحابها خصوماتهم فتفصل من دون ان يقع فيها التباس . فيستدل بهذا على ان الناس في ذلك العهد (عهد[1] أبان بن عثمان رضي الله عنه) بلغ بهم الأمر ان يضبطوا سجلات المرافعات

(١) [المجمع] ثم ذكر كاتب المقال حكاية يستدل منها ان (أبان بن عثمان) هذا ليس هو ابن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء بل هو احد فقهاء الأندلس . فحرق سجلات المرافعات والحجج والخصومات كانت في عهد ذلك الفقيه الأندلسي لكنه على كل حال كان في عهد متقدم قبل الامام مالك رضي الله عنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخصومات والحجج امام المحاكم الشرعية • وفي حسن المحاضرة ان المفضل بن فضالة اول قضاة مصر الذين طولوا كتابة الأحكام والمرافعات والوصايا والديون في السجلات وكانت قبله تكتب باختصار • اما اول من أمر بكتابة نسخة عن الكتاب قبل تبييضه فهو زياد ابن ابي سفيان فقد أملى على كاتبه كتاباً الى معاوية بخصوص عمران بن الفضل البرجمي فلما وصل الكتاب الى معاوية كتب الى زياد (كتبت في كتابك عمران بن الفضل) ولم تذكر له ما يتصل به (كأنه يعني قوله البرجمي) فسأل زياد كاتبه فقال انت أمليته فقال حديث نسي فلا تكتبوا كتاباً من بعد الآن الا جعلتم له نسخة فكان اول من وضع النسخ • وكانت لمعاوية مكتبة ولها خدمة وأعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليه بمجلس لذلك في أوقات معينة لا يتخطاها وجاء بعده حفيده خالد فكبرت مكتبته بالكتب العربية والمعربة وجعله بعض الباحثين اول من جمع له الكتب وجعلها في خزانة في الاسلام والحال ان الفضل في ذلك لأبي بكر ثم لعمر ثم لمعاوية قبل ان يكون لخالد • فمعاوية هو الذي بنى لحفيده خالد الأساس وغيره له هذا المقياس •

ولما ظفر طارق بن زياد في الاندلس بما ظفر به من الكتب القديمة التي تتضمن الطلسمات وعمل الصنعة (الكيميا) واصباغ اليواقيت ومنافع الاشجار والاحجار وغير ذلك من العلوم والصنائع والحكم ارسلها الى خليفة دمشق الوليد بن عبد الملك وذلك سنة ٩٢ للهجرة ولولا علمه بعناية الوليد بجمع الكتب ما وجهها اليه من المغرب الى المشرق • وفي آخر القرن الأول كان لعمر بن عبد العزيز خزانة كتب وقد عثر فيها على (كتاب ابن اعين) في الطب فأخرجه الى الناس ليستفيدوا • وكتب عمر الى سالم بن عبد الله بن عمر ان يرسل اليه رسائل عمر وسيرته وقضاياه وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه جمع رسائل وترك آثاراً مكتوبة مدونة • ولما راجع عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في مسألة إرثية قال سليمان ياغلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك الذي كتب في ذلك (اي في مسألة الارث) • وكتب عمر بن العزيز رسالة في الرد على نفاة القدر وهي مقدار كراسة متوسطة • وقال معمر كنا نرى انا قد اكثرنا عن الزهري (يعني في الأخذ عنه) حتى قتل الوليد بن يزيد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ويقال انها من علم الزهري (اي من الروايات المأخوذة عنه) •

وكان ابن شهاب الزهري يجلس وكتبه حوله مشتغلاً بها حتى عن زوجه فقالت وقالت والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر. وكان الزهري يقول: (إياك وغلول الكتب قيل له وما غلول الكتب) قال حبسها عن اصحابها اه. واصل معنى الغلول في اللغة السرقة من الغنائم قبل قسمتها بين الغانمين. ولما سعى الساعون بالزهري ضربوه بالسياط وعلقوا كتبه في عنقه.

وكُتُب عبد الحميد الكاتب التي كان ينشؤها مشهورة في جودتها وكبر حجمها حتى ان الكتاب الذي كتبه الى ابي مسلم الخراساني على لسان (مروان) كان يحمل على جمل من كبر حجمه فهما كانت رقوقه غلاظاً فهو في حجم مجلد على الأقل.

وقولهم ان جمع الكتب في خزائن لم يعهد قبل الرشيد والمأمون — فيه نظر لما ذكرناه من الحوادث الثابتة. وقد نقل القاضي عياض عن مالك انه قال: (كانت عندي صناديق كتب لو بقيت لكانت أحب اليّ من اهلي ومالي) وروي انه قال: كتبت بيدي مئة الف حديث وقال بعض اصحابه دخلنا منزل مالك بعد دفنه فاذا فيه سبعة صناديق كتب من حديث ابن شهاب وصناديق أخرى من كتب اهل المدينة فجعل الناس يقرؤون ويدعون وعن امام الحرمين أن مالكاً أملى في مذهبه نحواً من مئة وخمسين مجلداً في الأحكام الشرعية وفي تنوير الأبصار للحصكفي ان محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ ﻫ صنف في العلوم الشرعية ٩٩٩ كتاباً.

انتهى تلخيص مقال سيدي الكتاني وظاهر انه لم يرد من مقاله ان الأمة الاسلامية فاقت غيرها من الأمم في جمع خزائن الكتب لأن هذا أمر معروف وانما اراد أن يثبت ان عناية المسلمين بالكتابة والتدوين وجمع الكتب ابتدأ منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً لمن قال انه ابتدأ في القرن الثاني للهجرة.

المغربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٦ -

وبعد ان استلم السلطان سليم حماة بالامان جعلت سنجقاً تابعاً لايالة طرابلس الشام ، ويبلغ عدد جندها حين السفر مما هو في بطانة اميرلوائها ومن الجبجية الذين يقدمهم ارباب التيمار والزعامة نحو الفين (١) وفيها مشائخ المذاهب الاسلامية الاربعة (٢) ونقيب أشراف ووجهاء وأعيان وكتخدايري وسردار

(١) كانت الدولة تتخلى عن حقها في العشر والرسوم الاخرى الى اصحاب الخاص والزعامة والتيمار أو توقفه على جهة من الجهات الخيرية وفاقاً لطريقة الاقطاع التي كانت جارية في القرون الوسطى. وتقسيم الأراضي الى خاص وزعامة وتيمار كان باعتبار حاصلاتها المقيدة مثال ذلك ان الارض التي غلاتها اكثر من مئة الف اقجة (الاقجة ضرب من العملة تعادل ثلث البارة) يطلق عليها خاصاً وتحال على الوزراء والامراء وغيرهم من بطانة السلطان ومقربيه والتي غلاتها من عشرين الف اقجة الى مائة الف اقجة يطلق عليها زعامة وتحال على دفتردار الخزينة في الايالة ورئيس الالاي في اللواء وقواد القلاع ومن كان في منزلتهم والتي غلاتها من ثلاثة آلاف اقجة الى عشرين الف اقجة يطلق عليها تيمار وتحال على المستحقين من الجنود وكان كل من صاحب الخاص والزعامة مكلفاً بان يجهز وقت الحرب عن كل خمسة آلاف اقجة جندياً بعدته الكاملة وصاحب التيمار مكلف بان يجهز عن كل ثلاثة آلاف اقجة جندياً واحداً . واستمرت هذه القاعدة التي كانت سائرة في البدء سيراً حسناً الى سنة الف من الهجرة ثم شابها سوء الاستعمال الى ان الغيت سنة ١٢٥٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انكشارية (١) وجري باشي (رئيس جند) ويوزباشي (رئيس مئة) ودزدار قلعة ومحتسب ويجبي قاضيها من نواحيها في كل سنة ستة أكياس ويجبي اميرلوائها ثلاثين كيساً . وفي حماة قلعة بنيت فوق تل صناعي على شاطىء العاصي لكن اكثر أبراجها وأسوارها منهدمة (٢) . وفي حماة كثير من القصور

(١) كانت رتب قواد جند الانكشارية تبدأ بآغا الانكشارية ثم برئيس السكبان ثم بكخدا القول وهو معاون الاغا الكبير او رئيس اركان حربه ثم بكخدا يري وهو وكيل كتخدا القول وصلة الوصل بين الاغا الكبير وجميع جند الانكشارية يبلغ اوامر الاغا بمعرفة الكتاب الى الدزدارين اي محافظي القلاع والسردارين اي قواد الجند .

(٢) قال الصابوني : بنيت قلعة حماة على صورة قلعة حلب فوق تل صناعي عال فقد كانت على هيأة من الاتقان غريبة ينظر الداخل الى باب لها مشحر بحجارة عظيمة على خمسة جسور مرتفعة فوق الخندق ثم يدخل الى منعطفات الابراج فيرى البلد من النوافذ المفتوحة للحراسة الواسعة من الداخل والضيقة من الخارج ومن فوقها النوافذ الواسعة التي سدت بشبك من الحديد عظيم وبعد اجتياز المدخل بنايات عظيمة من دار الحكومة ومحل الذخائر وبيوت السكن يحيط بها سور عظيم مرتفع وفي مقابلته جامع ابي الفداء وجامع للقلعة ذي منارة شامخة ومنه الى الجهة القبلية بمسافة واسعة حمام كبيرة جداً وفي طرفها الشرقي المطل على طريق باب الجسر بئر واسعة فيها ماء عذب جداً يأتي من مكان خفي من نهر العاصي ولها طريق تحت الارض يصل الى العاصي من جهة الشمال ماراً من تحت بستان الدوالك متصلاً ببعض البيوت وكانت مرصوفة بالحجر الاملس من اسفل الخندق الى حيطان السور لئلا يصعد اليها العدو وللقلعة خندق دائر حولها عميق جداً وكان العاصي مرتفعاً عنه ولهذا الخندق طريق الى الماء من المكان المسمى الآن جسر الهوا في مدخل محلة باب الجسر كانوا اذا ارادوا الحصار يفتحون منه ماء العاصي فيمتلىء الخندق . وقد أشار الى ذلك ابن جبير وياقوت اه . قلت وقد ظلت هذه القلعة على هذا المنوال الى ان جاء هولاكو طاغية التتر في سنة ٦٥٨ هـ فخربها واحرق ما فيها من الذخائر والعتاد ثم اعاد ملوك حماة الايوبيون ترميمها الى ان قضى

الفخمة ذات الحدائق الغناء والأحواض والمياه الدافقة وأشهرها قصر محمد باشا الارناؤط وهو مبني على شاطئ العاصي وفيه ثلاثمائة غرفة (!) وقاعات عديدة وحمامات وحدائق ولم أر مثل هذا القصر الا في دمشق وقد أولموا فيه لمولانا مرتضى باشا وليمة يعجز اللسان عن وصفها (١) . واشتهر ايضاً

عليها تيمورلنك في سنة ٨٠٣ القضاء الاخير وامست من ذلك الحين ليس فيها الا بعض بيوت وجدران قائمة وسجن للحكومة وانقاض الى بعد مرور اوليا چلبي في القرن الحادي عشر . وفي القرنين الماضيين جردت الاطلال ونقضت الاحجار واستعملت في بناء قصور الكيلانيين والعظميين وغيرها فأضحى سطح التل قاعاً صفصفاً ليس فيه من تراث الاقدمين الا بعض كسور الاحجار وأسس جدران من الآجر الى ان جاءت منذ سنتين بعثة أثرية دانيماركية وشرعت تحفر فيه فكشفت حتى الآن من آثار العرب عدداً غير يسير من الأواني الخزفية وقطع الفسيفساء والقنابل اليدوية الخزفية التي كان يستعملها العرب في حروبهم وغير ذلك وهي دائبة في ربيع كل عام على الحفر وتأمل ان تصل بعد آثار العرب الى آثار البيزنطيين والحثيين .

(١) ذكر جرجي يني مؤلف تاريخ سورية في اسم باني هذا القصر مراراً في فصل طرابلس فما قاله ان محمد باشا الارناؤطي ولي ايالة طرابلس في سنة ١٠٥٠ هـ وانه بنى على نهر رشعين قصراً وكلف الرعايا اموالاً ثم عزل واعيد ثلاث مرات وذلك من شدة جوره وعسفه و كان في كل مرة يعاد بعد مدة وجيزة وفي المرة الرابعة ارسل الى حماة واستقر بها اهـ . قيل ان هذا الباشا اعقب في حماة وانه لايزال من اعقابه بعض نساء وانه على الرغم من عسفه كان ولوعاً ببناء القصور والمساجد والحمامات فقد بنى في حماة القصر الذي ذكره الجلبي وبالغ في عدد غرفه ويظن انه هو دار الحكومة التي احترقت في حادثة حماة في سنة ١٣٤٤ هـ ويظهر من وصف الجلبي ان البناء الملاصق للدار المذكورة الذي كانت فيه مدرسة التجهيز ودور بعض السراة المجاورة كانت كلها من مشتملات هذا القصر الفخم . ومحمد باشا بنى ايضاً في حماة جامعاً قرب جسر السرايا يسمى جامع المدفن لأنه دفن فيه

في حماة قصر الشيخ ابراهيم افندي بن الشيخ عبد القادر الكيلاني(١) · اما جوامعها فكثيرة منها جامع ابو عبيدة بن الجراح فاتح حماة وهو في السوق الأعلى قيل انه كان في الأصل كنيسة قديمة وانه بني بمال الخراج الذي أداه اهل حمص وقد زبرت على رخامة فيه النفقات التي صرفت في انشائه والصقت على احد جدرانه (٢) · وهناك جامع قاسم باشا المعروف بكوزلجه وهو اول

وعلى قبره تاريخ وفاته في سنة ١٠٦٨ وكان وقف له عقاراً كثيراً ومن الذين اتصلوا بخدمته وخدمة ابنه علي باشا شاعر حموي اسمه حسن الدفتري المعروف بابن قبنق ·

(١) الشيخ ابراهيم الكيلاني جد بني الكيلاني في حماة وهو على ما قيل ابن شرف الدين ابن احمد بن علي الهاشمي ولد في سنة ١٠٤١ وتوفي في بغداد في سنة ١٠٦٨ كان ذا ثروة ومكانة عظيمتين احتجنها بتصوفه ومشيخته بنى قصره الذي ذكره الجلبي من انقاض قلعة حماة وبنى في جانبه جامعاً ولا يزال هذا القصر عامراً باعقاب المترجم وهم يؤلفون اسرة كبيرة لبعض افرادها حظ وافر من سعة الملك ووفور الثروة والوجاهة في حماة وضواحيها · والقصر على شاطئ العاصي الأيمن في محلة تدعى جسر بيت الشيخ بقصده السياح لرؤية ما فيه من محاسن البناء العربي كالقصور والقاعات ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) في حماة جوامع ومساجد كثيرة نخص بالذكر منها (الجامع الكبير) الذي ذكره الجلبي وهو في محلة المدينة وجد من عهد ابي عبيدة وكان يسمى الجامع الأعلى قيل انه جدد في خلافة المهدي من خراج حمص على ما نقش على رخامة فيه ثم جاء المظفر عمر فزاد فيه وبنى مدرسة بجواره ثم جاء ابراهيم الهاشمي فانشأ منارته الشمالية سنة ٨٢٥ كما زبر ذلك على رخامة فوق بابها وبنى ايضاً الحرم الصغير في جانب المسجد من جهة الشرق ورواق الجامع ايضاً بناه سنة ٨٣٢ وفي غربي فناء هذا الجامع قبة صغيرة تدعى بيت المال او الخزنة تشبه قبة جامع بني أمية في دمشق بنيت على ثمانية اعمدة ذات تيجان يونانية وتحتها بحرة صغيرة وعلى الأعمدة كتابة عربية قديمة وله حرم واسع جداً وفي جانبه الغربي ضريح المظفر وابنه وليس في حماة جامع مثله في اتساعه وعظمته وله في جهة القبلة منارة مقطوعة الرأس بابها

من الحجر الأسود وكان لهذا الجامع اوقاف كثيرة اندرست ولم يبق الا القليل ·

وصف الاثري هرزفيلد هذا الجامع فقال : ان اصل حرمه كان كاتدرائية للنصارى غريبة الشكل وله ثلاثة أفنية مختلفة السعة وثماني دعائم وخمس قباب ومن كل ناحية خمسة عقود او اقبية ويظهر ان الحائط الغربي كان حائط رواق الكنيسة والحائط الجنوبي من العهد السابق للنصرانية كما هو الحال في جامع دمشق كان معبداً ثم بيعة ثم جامعاً · والى جهة الشرق قامت منارة قديمة منفردة وهي مربعة الزوايا زينت عليها كتابة كوفية ربما كانت من القرن الخامس · وتحيط بصحن الجامع الجليل أروقة معقودة وهناك سدة بمحرابين أمام الحرم وسدة أخرى لها حوض ماء ومحراب منفرد في الرواق الشمالي وخزنة قائمة على ثمانية أعمدة قديمة وفي الرواق الشرقي تربة ومصلى ولها نوافذ صلبة معمولة من النحاس من عهد المماليك ومن الرواق الغربي يصل الانسان الى قبة الملك المظفر محمود وله تابوت معمول بالخشب الجميل المنقوش وهناك منارة ثانية قامت في الخارج وسط الرواق الشمالي ويستدل من كتابته وشكله انه من عهد المماليك وفي جامع حماة نماذج خاصة من هندستها تجلياً غريباً وذلك ان ظاهر الحيطان مزين بنقوش رسمت بألوان تشبه الفسيفساء لمراوحتهم في صفها بين حجر الحوّري الأسود والحجر الكلسي الأبيض · ومن جوامع حماة (جامع الحيات) في باب الجسر كان متسعاً وقد هدم من جهة الغرب فذهب نصفه وعدا عليه الجوار فأخذوا من ارضه الشرقية ربعه · بناه ابو الفداء وعمل لحرمه من جهة الشرق شباكين كبيرين بينهما عمود كبير من الرخام على شكل افاعي ملتفة ولهذا سمي جامع الحيات وعمل فيه خزانة كتب كبيرة كان فيها سبعة آلاف مجلد فذهبت فيما ذهب منه ونقش حرمه بالذهب والفسيفساء والرخام الملون في جدرانه وارضه وعمل له من الغرب شباكين كما في جهة الشرق غير انهما هدما وادخلا في البستان المجاور له · وعلى يمين مدخل الجامع الذي ينزل اليه بدرج غرفة فيها ضريح الملك المؤيد ابي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ اصلحها بعد دثورها منذ سنتين العالم المصري احمد زكي باشا · وبنى رجل ايضاً حموي متوسط الحال يدعي الانتساب الى السلطان بدر الدين حسن اخي ابي الفداء منارة جميلة في جانب الضريح مكان المنارة القديمة المندثرة · و (جامع السلطان) في محلة الدباغة بناه السلطان حسن

من حكم حماة من العثمانيين بعد فتح السلطان سليم(١) . وأشهر تكاياها «تكية عبد القادر الكيلاني» وهي عامرة ومزخرفة وذات ايراد جزيل وتعج بالدراويش(٢) . وأسواق حماة وان لم تكن عامرة بقدر أسواق حلب لكنها حافلة بجميع أنواع البضائع القيمة ويكثر فيها الصياغون والحلاقون . وحر حماة شديد لوقوعها في وسط الاقليم الرابع وتهب من بريتها ريح سموم

شقيق ابي الفداء على هيأة: جامع الحيات ومشتملاته و(الجامع النوري) في محلة باب الناعورة بناه نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٨ بعد الزلزال الكبير الذي هدمت فيه حماة واوقف له اوقافاً كثيرة لم يبق منها اثر وكان له باب شاهق من الغرب درس وباب آخر من الشرق باق حتى اليوم وبين هذين البابين تاريخ بناء الجامع محفور بخط جميل وحروف ضخمة . وصفه هرزفيلد فقال : هذا الجامع على الشاطئ الأيسر من العاصي في ارض منحدرة وعلى بناء نحتي عال . بني هذا الجامع على عهد نور الدين وعلى ما دخله من الترميمات الكثيرة تشاهد فيه الى اليوم اجزاء مهمة من البناء القديم ولا سيما الحرم الطويل الذي عقوده حديثة العهد بالنسبة لمجموع الجامع وكذلك القباب الثلاث من الرواق الشمالي المختلفة الأشكال . والأبنية القتانية من الجهتين الشرقية والشمالية والحائط الخارجي الشمالي من الجامع . وربما كان الجزء الأسفل من المنارة بما فيه الحجارة المنحوتة البيضاء والسوداء قديم العهد ايضاً . وفي هذا الجامع بقايا منبر جميل عمل من الخشب يرد الى زمن نور الدين ثم محراب زين اجمل زينة فيه اعمدة من الرخام المجزع من عهد الملك المظفر محمود (٦٢٦— ٦٤٢) وفي مكان آخر من الشرق محراب ذو اعمدة من المرمر زبر في تيجانها اسم ابي الفداء .

(١) هذا الجامع لم يعرفه احد ممن سألتهم في حماة ولا سمع بهذا الاسم . فمن أين أتى الجلبي بذلك .

(٢) نفى الصابوني وجود التكايا الآن في حماة . اما التكية الكيلانية فقد أسماها زاوية وقال أنها من بناء بني الكيلاني القاطنين في حماة منذ القرن السابع . والذي علمته ان الايراد الذي ذكره الجلبي اندثر والدراويش لم يعد لهم أثر .

لذلك يكثر السمر في اهلها ويقل الجمال في نسائها (كذا) . ويلبس الرجال جبباً وغنابير ملونة تكون في موسريهم من الحرير ومتوسطيهم من القطن أو الصوف وتلبس النساء في أرجلهن أحذية طويلة الساق ويلتحفن بملاآت بيضاء .

ويصنع فيها شراشف ومناشف ومناديل حريرية . ولكثرة الشبان الذين يتجندون تكثر الفروسية بين اهلها ويصنع فيها سروج ولجم جميلة متقنة . اما قمحها فيماثل القمح الحوراني في الجودة . وكذا الأمر في شعيرها وقطانيها . وتكثر في حماة الخيول الاصيلة . اما حماماتها فكثيرة وعلى غاية من الحسن واتقان الخدمة أخص بالذكر حمام (١) محمد باشا الارناؤد الذي لم أر في ديار الروم مايماثله في الإبداع الا ان يكون حمام محمد كراي في بغچه سراي عاصمة بلاد القريم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي حماة نواعير عظيمة منصوبة على نهر العاصي يسمع القادمون الى هذه البلدة أنينها من مسافات بعيدة . وهي دواليب مؤلفة من اخشاب واعمدة ومسامير حديدية على غاية من الطول والضخامة . وتنصب المياه من هذه النواعير في قناطر تذهب بها الى قصور البلدة ودورها وحماماتها ومساجدها وخاناتها . ولكل ناعورة اوقاف ذات ايراد وخدم ونجارون مهيأون لخدمتها . واذا اقترب الزائر الغريب منها تكاد آذانه تصم من شدة الضجة . والاغرب

(١) هو حمام الباشا الذي كان في جانب جامع المدفن . والحمام والجامع من بناء محمد باشا الارناؤط الذي مر ذكره . وقد اندرس هذا الحمام منذ قرن في جملة المعالم الكثيرة التي اندرست في حماة وبيعت وهي عامرة للحجارين كدار الفرح في محلة باب الجسر كانت وقفاً للأفراح فمن أراد ان يتزوج مثلا يأخذ مفتاحها من متوليها ثلاثة ايام ذكره الصابوني .

من كل ذلك رؤية غلمان حماة المتشردين يتعلقون باطراف الناعورة ويدورون بدورانها حتى اذا علت بهم القوا بانفسهم الى العاصي فيغوصون فيه ويسبحون . وفي حماة مئات من الحدائق والبساتين التي تروى من هذه النواعير . ولا يخلو كل بستان من ناعورتين او ثلاث على ان أعظم ناعورة بينها هي ناعورة المحمدية التي سارت بذكرها الركبان (١) . وفي حماة قبران لعالمين من الترك احدهما المولى حامد جلبي الشهير بطاشكوبري زاده والثاني المولى ابراهيم جلبي الآذري وكلاهما مدفون بجوار التكية الكيلانية وتاريخ وفاة الجلبي الآذري سنة ٩٩٣ هـ (٢) .

(١) نواعير حماة كثيرة وهي من صنع الرومانيين والعرب وكان منها في زمن ابي الفداء ٣٢ ناعورة . اما الآن فهي أقل من ذلك أ كبرها ناعورة المحمدية التي ذكرها الجلبي وهي في باب النهر أنشئت في أيام المعز الاشرف السيفي كافل حماة في سنة ٧٦٣ لسقي الجامع الاعلى ومنها ناعورة المأمورية قرب جسر السرايا أنشئت هي وقناتها باسم الحاج بلباك كافل حماة في سنة ٨٥٧ تسقي جهة السوق . وقد اقتبس الصليبيون فيما اقتبسوه من بلاد الشام صنع النواعير ايضاً فأوجدوا في ألمانيا في واد صغير في فرانكوني على مقربة من بايروت نواعير كالتي في حماة لاتزال دائرة . ذكره سوبرنهايم في المعلمة الاسلامية .

(٢) قيل انه كان في جوار الزاوية الكيلانية مقبرة للكيلانيين درست وبني في محلها دور ولعل هذين القبرين اللذين ذكرهما الجلبي كانا فيها . اما حامد جلبي فلم اعثر على ترجمته ولعله كان قاضياً في حماة ورث القضاء والعلم عن ابيه اوجده عصام الدين ابي الخير احمد بن مصطفى الشهير بطاشكوبري زاده مؤلف كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب موضوعات العلوم وغيرهما وكان عصام الدين من اعظم علماء الترك العثمانيين افضل من الف منهم ونظم باللغة العربية توفي في سنة ٩٦٨ . وآذري جلبي كان على ماقاله شمس الدين سامي مؤلف قاموس الاعلام — من الفضلاء المبرزين في عهد السلطان سليم الاول

كان عالماً شاعراً لطيف المعشر سلك مسلك القضـاء وما زال يتنقل في قضاء مدن شتى في الاناضول حتى كانت خاتمة مطافه حماة توفي فيها سنة ٩٩٣ ودفن في خارجها وله ديوان شعر تركي سماه « نقش خيال » .

قلت ويبلغ عدد سكان حماة الآن اربعين الفاً تسعة اعشارهم من المسلمين واكثر البقية من الروم الارثوذكس واقلها من السريان القدماء والسريان الكاثوليك والبرتستانت وحماة مابرحت قاعدة لمتصرفية كان يتبعها اقضية حماة وحمص وسلمية ومصياف ثم فصلت عنهـا حمص وجعلت متصرفية والحقت مصياف بحكومة اللاذقيـة ولم يبق لحماة سوى قضاءها المركزي وقضاء سلمية يتبع الاول نواحي حماة وطار العلا والحميري والحمراء ويتبع الثاني نواحي علي كاسون ومعرشحور وعقيربات وسلمية . وحماة بلدة زراعية اكثر منها صناعية وجل علائق سكانها مع الفلاحين والبدو فاذا جادت السماء والامطار واقبلت المواسم حسنت حالتهم وان شحت حصل الجدب وعم الضيق . اما صناعاتها فهي البياض ومنسوجات الحرير وقد كان لها في الماضي القريب مكانة كبرى وكان المرتزقون منهـا في حماة — ومثلها في حمص ودمشق وحلب وطرابلس — يعدون بالالوف ذكر في (سالنامة ولاية سورية) لعام ١٣٠٥ هـ انه كان في حماة ٥٠٠ نول يشتغل بها ٨٠٠ عامل يصنعون في كل عام ٣٠٠٠٠ من عدة الحمامات كالمناشف والفوط و ٣٦٠٠٠ ثوب من البياض و ١٠٠٠٠ شرشف فراش مما كان يبلغ ثمنه ٧٠٠٠٠ ذهب عثماني اهـ . بدأ هذا الوارد يتضاءل منذ اليوم الذي كثر فيه اقبال الشرقيين على استعمال الثياب والفرش الافرنجية وزادت ضؤولته بعد الحرب العامة على اثر فصل بلاد الشام عن الاقطار المجاورة التي تروج فيها هـذه المصنوعات واخصها بر الاناضول والقطر المصري وتزييد رسوم المكس عليها الى ان بطل استعمالها في الاناضول وتعذر تصديرها الى مصر فماتت هذه الصناعة او كادت وساء حال مرتزقيها .

وتصدر حماة للخارج اعتاق الخيول العربية وانواع الحبوب والسمن الحديدي الفاخر المشهور والصوف والجلد . وفيهـا كثير من الجوامع والكنائس والمدارس الميرية . احداها مدرسة تجهيز والمدارس الخاصة كدار العلم والتربية التي تقيم في قصر بني العظم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاثري وفيها الصيارف والاطباء والصيدليات والمحامون وتجار السلع المختلفة ومن هذه السلع ما هو خاص بالبدو . ويكثر في اهل حماة القرع وامراض العيون لكثرة العجاج وشدة الحرارة والرطوبة في الصيف وقلة العناية بالصحة . وابهج الفصول في حماة الربيع - تزدان فيه حقولها وحدائقها وازوارها بحللها السندسية ويقصد الحمويون آنئذ المتنزهات والمقاصف المشرفة على تلك المرتبعات فيضربون الخيام ويقضون فيها اياماً واسابيع ويجلب البدو الذين يكثر وجودهم في براري حماة — اللبن الخاثر الجيد ومشتقات الحليب كاللباء والزبد والكثأة وجميعه مما تباهي حماة بوفرته وجودته . واردأ الفصول فيها الصيف والخريف فانها شديدة وطأتها . وقد انجبت حماة في العصور الغابرة علماء وأدباء كثيرين ذكروا في كتب التراجم ومابرح اهلها في الجملة ذوي شغف بالدراسة وبينهم الآن لاسيما في الطبقة الوسطى عدد غير يسير من حملة الشهادات المتوسطة والعالية في مختلف المسالك . هذا وينقص حماة لتحسين جمالها الطبيعي تغيير شكلها الموروث منذ قرون وذلك بتنظيم شوارعها وتنظيفها وتشييد المباني على الطراز الحديث وايجاد الفنادق والمطاعم والمسارح التي تجذب اليها الغرباء والسائحين وجلب الماء القراح ونور الكهرباء واصلاح بساتينها واعادة الفوا كه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة : الى آخر ما هنالك من وسائل العمران التي قصرت فيه عن بقية مدن الشام .

« للبحث صلة »   وصفي زكريا

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

كتب الادب القديمة والحديثة

— ٤ —

وقال في ص ٦٧ — لم تخالف انامله · والصواب لم تخلف ·

وفي ص ٦٨ — يمدن عداة زور · والصواب عدات ·

وفي ص ٦٩ — باوصال الحسين · والصواب فأوصال ·

وفي ص ٧٠ — واعلم لقد خشيت صدر اخ · والظاهر ولقد خشنت اي اوغرت ·

وفي ص ٧١ — ان الضيف يخبر ما رأى · والظاهر مخبر ·

وفي ص ٧٢ — من المشترين القدر · والصواب من المشتوين القد ·

وفي ص ٧٢ — اي يأخذون المهد اخ · والصواب ان هذا نثر وليس بشعر ·

وفيها امرأة عبد الصمد · وسياق القول يقضي بان تكون أم عبد الصمد ·

وفي ص ٧٣ — شِعار المولدين · والصواب اشعار ·

وفيها · لا ازرها · والصواب لا ازورها ·

وفي ص ٧٤ — بقول عبد الصمد · والصواب يقول ·

وفيها · عمرو بن فرخ الرجعي والمعروف الرخجي ·

وفيها · وايضاً لقبح مسبته · والصواب واتقاء ·

وفي ص ٧٥ — لقيب اعرابياً · والصواب لقيت ·

وفيها · ضخم ضجر عضوب · والصواب ضخم حضجر غضوب ·

وفيها · نابض اوقار · والصواب اوتار ·

وفيها · له في الغيبة بعد الغيبة عند الخليفة · والظاهر في الفينة بعد الفينة ·

وفي ص ٧٦ — وما ادي · والصواب وما ادري ·

وفيها • فمن تيك لم اصبر • والأولى فديتك لم اصبر •
وفي ص ٧٧ — على عتب الضمير • والصواب غيب •
وفيها • لى ان جرى • والصواب الى ان جرى •
وفيها • فبدل منا بمشهد بمغيب • والصواب فبدل منها مشهد بمغيب •
وفيها • الى شر يومها قد همع والى عارضها قد لمع • والظاهر الى شؤبوبها قد لمع والى عارضها قد همع •
وفيها • بالوعيد قد اروى • والصواب اورى •
وفيها • داهية نار • والظاهر نآد •
وفي ص ٧٨ — سهلت لك الوعود • والصواب الوعور •
وفيها • من ركن ململم • والأولى ركن يلملم وهو جبل على مرحلتين من مكة •
وفيها • موضع السيف من عاتقه فتعفو عن قتله • • والظاهر من عنقه فيمنعني من قتله ابقائي • •
وفي ص ٧٩ — الحقد دالا رديا • • والصواب داء دويا •
وفيها • جعلت المي كطرق السبك • والصواب كظرف • •
وفيها • قيس بن الكشوح • وفي امالي القالي ابن مكشوح •
وفيها • تمثل به على • • راى عبد الرحمن • والصواب لما رأى •
وفي ص ٨٠ — الا تبقى الحياء • ورواية البيت الا تتقى الحياء كما في امالي القالي •
وفي ص ٨١ — طاط من اشرافه • والصواب طأطيء •
وفي ص ٨٣ — الى العلا • • • • حاورا • والصواب الى العلى • • حاروا
وفيها • يعول اثنا عشر • • والصواب اثني عشر •
وفي ص ٨٤ — انما طيب الثناء • والأولى طيبك الثناء •
وفي ص ٨٥ — وموته موته لا موته الداني • والأولى وموته خزيه • •
وفيها • اخذ هذا البيت الراغي • والصواب الرضي •
وفيها • اليت الشرى • والصواب أليث الشرى وروى هذا البيت • هكذا بنفسي ثرى ضاجعت •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيها · يذكر بخدمة سلفها · والأولى يذكره بحرمة ·
وفي ص ٨٧ — يطيع هو الصابي · والصواب هوى · ·
وفي ص ٨٨ — قطعت الياء من ديمومة · والصواب اليك من · ·
وفيها · دمع الدموع بإثر ·· والصواب دمع المودع نحو ··
وفيها · مادمت انت ان تقوم · والصواب اسقاط ان ·
وفي ص ٨٩ — كايشرف غيرهم · والصواب كما يشرف ·
وفيها · قطع متن الشعراء ·· والصواب متن الشعر ·
وفي ص ٩٠ — اعطاك سَورة · والصواب سُورة ·
وفيها · لعمرو ابن هند عضبة · والصواب غضبة ·
وفيها · وحقر المشارك ؛ والأولى وحقد ·
وفي ص ٩١ — في حباتك لي عظاة · والصواب عظات ·
وفيها · تستقل ملك العباد · والصواب تملك ··
وفي ص ٩٢ — بالسلطان الانفس خائفة والصواب بالسلطان الانفس جائعة ·
وفي ص ٩٣ — صواح صدغيها · والصواب صواخ ·
وفي ص ٩٥ — يضيق بالضرر وسعه · والصواب ويسعه ·
وفيها · لحياه رعدة · والصواب لحَياه ·
وفيها · ياصحاب الجدود ··· المطروزة · والصواب ياصحاب البرود ··· المطارزة ·
وفي ص ٩٦ — ويقل شبا · والصواب ويفل ··
وفيها · وان قلباً لم ينصحه · وفي الاصل لم ينفحه ·
وفيها · اسفرت الخلوة عن وجهة والصواب عن وجهه ·
وفي ص ٩٧ — خلعت خجلة · والاولى خلعت ·
وفي ص ٩٧ — صار بحراً مروجه في اليدين · والصواب صار مجرى بروجه كما في الديوان ·
وفيها · تجاريا الى مدد · والصواب الى امد ·
وفي ص ٩٩ — عنفني فيها لئيم وسامني · والاولى وساءني ·

وفي ص ١٠٠ — ولما احتفل القائد · والصواب القائل ·

وفيها · بلاد حل بها الشباب تمائمي · والصواب بلاد بها حل ···

وفي ص ١٠١ — ذكر ان سكرته تعطي · والصواب ان غول سكرته يغطي ·

وفيها · مقدار فضيلته في · والظاهر في قوله ·

وفي ص ٢ ١ — فاستهلت مدامعي شوقي · والظاهر لشوقي ·

وفي ص ١٠٣ — باردات النوائب · قال في الذيل النوائب هنا بمعنى الانياب ولم اجدها بهذا المعنى ولعلها الاناييب اصلها اناييب جمع أنياب ·

وفي ص ١٠٤ — فاهتاج معتز · والاولى فاجتاح ·

وفيها كأن بيغداد · · والصواب كأن بغداد ··· وبذلك يستقيم الوزن ·

وفي ص ١٠٤ — شوق الى وجه وليس بصحيح الوزن · والاولى الى وجهه ·

وفي ص ٥ ١ — تخذتكم دُرعا · والصواب درعا ·

وفيها · فيها منقوشه · والصواب منقوشة ·

وفي ص ١٠٦ — امتطى بالجوزاء · والصواب الجوزاء ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيها · موثوقة بالوثاقة · والأولى موصوفة او موسومة ··

وفيها · فهمي حمى · والصواب فهي ···

وفيها · قبل الخط مجرى · والصواب قبل الخطو نحوها مجرى ·

وفي ص ١٠٧ — شرافته ·· شرافات · والصواب شرفاته ··· وشرفاته ·

وفي ص ١٠٨ — يقضي زمامه · والصواب ذمامه ·

وفيها · قوى الاستقلال والاضطباع · وقال في الذيل الاضطباع النهوض · والصواب اضطبع الشيء ادخله تحت ضبعيه اي عضديه وربما كان الاصل والاضطلاع ·

وفي ص ٩ ١ — ولا بليت عذرا · والصواب ولا أبليت ·

وفيها · ولولا النعمة بالزيادة نعمة لم تزل ··· وصواب العبارة · وله · احق النعم بالزيادة نعمة لم تزل ···

وفيها · عادية احكامها ··· والصواب غادية لانها تقابل رائحة في الجملة الآتية ·

وفيها · قبض الله من الأمير · والصواب قيض ···

وفيها · الق عصا التيار · والصواب التسيار ·

وفي ص ١١٠ — فانسى به حادث الكلم · والصواب وآسى به ·

وفيها · اذا تغذيت ··· بالغذاء · والصواب تغديت · بالغداء وبه تحصل المجانسة مع قوله اراغ داني ·

وفيها · آذى قفاه ما ذاق فاه · والظاهر اذا قفاه اذاق فاه

وفيها · من مجبهن زحام · والظاهر من جمهن ·

وفيها · فرعى الله طويل حياة · والصواب فدعا الله طويلا يرجى ·

وفيها · واقاه بعد تأبين بشر · والصواب بعد يأس بشير وحينئذ يصح المعنى ·

وفيها · بدا بين ايدينا عمودا · والصواب عمود اوترى بين ايدينا عموداً ·

وفي ص ١١٢ — خرراسه · والصواب جز اوجذ ·

وفيها · قد كسى الباطن ··· والأولى حذف قد ·

وفيها · وضغر من بنات · والصواب وصفر ·

وفيها · واظهرها عواري · والصواب عوار ·

وفيها · وامست تنفج · والصواب وليست ·

وفيها · لكل ساري · والصواب سار ·

وفي ص ١١٣ — ويزوغ عنه · والصواب ويروغ عنه ·

وفيها · فبعد الترك · والظاهر فبعض الشوك ·

وفي ص ١١٤ — جم الزلال · والصواب جم الزلازل ·

وفيها : اذا سئلوا جادت سيوف اكفهم عرائك احداث الزمان الجلائل

وهو ملفق من بيتين وهما :

اذا سئلوا جاءت صبوب اكفهم تطاير جمات التلاع السوائل

خليقون مروا ان ثلمن اكفهم عرائك احداث الزمان الجلائل

وفي ص ١١٦ — من مجنه الرد · والصواب من مجنة ·

وفي ص ١١٧ — في الذيل · المتخمط هنا الثائر المائج · والمتخمط القهار الغلاب الذي له جلبة من شدة غضبه ولم ارها بمعنى الثائر ·

وفيها • بيبتين اهلنا والاولى يحلن •

وفيها • برياك يغذو ربنا بلداً قفرا • والاولى برياك تعروري بنا • • •

وفيها • الرتاج الاغلاق • والصواب هو الباب العظيم او المغلق عليه باب صغير •

وفي ص ١١٨ — تلهب جمر الفرقد • والصواب الفرقد وهو شجر عظام •

وفيها • نذود النفوس الضاريات والاولى الصاديات •

وفيها • في الذيل مرجحنة متاوجة • والاولى ثقيلة واسعة مائلة من ثقلها •

وفي ص ١١٩ — كقول الطرماح ة النور • والصواب في الثور •

وفيها • عتباً بحبكم • طال بحبكم • والصواب بحبكم في الموضعين •

وفي ص ١٢٠ — بوصل متى تعالمبه والصواب متى تعالمبه •

وفي ص ١٢٢ — وليس ذا حين الزيادة • والصواب حين الزيارة •

وفيها • ما قلت للطيف الملم الا ابتعد • والبيت في الديوان هكذا :

ما قلت للطيف الملم لا تعد تغش ولا كففت حامل كابي

وفيها • فلم يدر نفر ما دها وجيد • وفي الديوان فلم يدر نحر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ١٢٣ —

أني أهتدي في ظل اخضر مغدق حتى نيمم بالعناء وسادسي

وصوابه : انى اهتدى في ظل اخضر مغدف حتى نيمم بالعراء وسادسي

وفي ص ١٢٤ — ممنوناً ولا نزقا • والصواب ولا نزقا •

وفيها • كن بعي بحجته وسط النداء • والصواب بعيا • • • وسط الندي •

وفيها • مالي ومالك شبه حين اذكره • والأولى انشده •

وفي ص ١٢٥ — دون الخير من شر • والصواب من ستر •

وفي ص ١٢٦ — كالشراب الرقراق • والصواب كالسراب •

وفي ص ١٢٧ — كسوة من اعز ادرع • والصواب اغر اروع •

وفيها • يرد المضاع • والصواب يرد الدناع •

وفي ص ١٢٨ — على عقوق الثروة • والصواب حلي حقوق •

وفيها • في اخس رتان • والظاهر زمان •

وفي ص ١٢٩ — موكل بجب الاجل · والصواب الآجل ·

وفي ص ١٣٠ — لبسته الخالدة · والصواب الخالدة ·

وفي ص ١٣٢ — والظافر به عزيمة · والأولى والظفر به ·

وفيها · سفائح جهله · والظاهر سفاتح ·

وفي ص ١٣٣ — لايحل الفاقة ولايحل خناقة · والصواب لايحل انناقه ولايحل خنانه

وفي ص ١٣٣ — عوانيها اذا الوحوش · والصواب عنوانيها ·

وفي ص ١٣٦ — لا يقع الا في البذر · وفي رسائل البديع الا في الندر ·

وفي ص ١٣٧ — الا تقنص اللفظ · وفي الرسائل الاقتنص اللفظ ·

وفي ص ١٣٨ — ويفل حجيج خصمه بمس كتاب حكمه · والظاهر بمسكتات حكمه ·

وفي ص ١٣٩ — ومن اللغات اذا تعهد المهمل · والصواب اذا تعد وبه يستقيم الوزن ·

وفيها · كل قبجة نضيرة · والظاهر خطيرة ·

وفيها · وتحنو على الرقة والتحفي ... وسياق القول يقتضي ان يقال على الرقة له والتحفي به ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيها · ولم يختلط به قلب معاب · والظاهر ثلب معاب ·

وفي ص ١٤١ — في التعزية قررت عيناً آفديك · والظاهر اسقاط قررت عيناً ·

وفيها · توجب انه ملك لايحقق اعطاء ولا يحصل · والأولى توجب انه ملق لايحقق وعطاء لا يحصل ··

وفيها · فتيل فهل فيكم له اليؤم ثائر · والصواب اليوم ثائر ·

وفي ص ١٤٢ — ويتزرن على العوانك · قال في الذيل العوانك جمع عانكة وهي الحمرة من الطيب والمراد هنا الارداف · والصواب العوانك جمع عانك وهي الرملة المنعقدة المرتفعة وهي كذلك في امالي القالي ·

وفيها · ويتهـادين على الدوانك وقال في الذيل الدوانك جمع دونك وهو الوادي · والصواب الدوانك جمع درنك وهي الطنافس ·

وفيها · وعن الحيـاء حور · وقال في الذيل حور مترددات · والصواب وعن الخنا نور جمع نؤور وهي النفور من الريبة ·

وفي ص ١٤٣ — هو داء تداوي به النفوس · والصواب تدوى به ·

وفيها · وحمى مضطرم · والصواب وجمر مضطرم ·

وفي ص ١٤٤ — وقد ذكرت ابصار قلوب ابنائها والظاهر كسرت ·

وفي ص ١٤٥ — وليس بخافي · والصواب بخاف ·

وفي ص ١٤٦ — يجني بها ثمر الانام · والصواب الاثام ·

وفي ص ١٤٧ — لقد جمعتنا ظرفاً · والصواب جمعنا ·

وفيها · قال البحتري · والصواب البحتري ·

وفي ص ١٤٨ — نطاقها مجرب وازارها محصب · والصواب نطاقها مجدب وازارها مخصب ·

وفيها · واستوفى ماء الحسن · والظاهر اقسام الحسن ·

وفيها · صورة تجلي الأبصار · والأولى تجلو ·

وفيها · كان خده سكران من خمرة فمه · والسجع يقتضي · خمرة طرفه ·

وفي ص ١٥٠ — وتشوك زعفران خطه · والظاهر تشوك زعفرانه ·

وفيها · فارقنا خشفاً · والصواب خِشفاً ·

وفيها · والاظفار حما · والظاهر حمى ·

وفي ص ١٥٣ — ويخد خذ · والصواب خد ·

وفي ص ١٥٤ — وزري ملكي · والظاهر وزي ملكي ·

وفي ص ١٥٧ — أنحت سروره · وفي الديوان أبحث ·

وفي ص ١٥٨ — وللماء ما دارت عليه القوانس · وقال في الذيل القوانس اعالي الرؤس · وفي الصحاح القونس أعلى البيضة من الحديد · وبعد ذلك فرواية البيت هكذا :

(وللماء ما دارت عليه القلانس)

وفيها · وحكى الذباب بها فليس ببارح · والرواية وخلا الذباب ·

وفي ص ١٦٠ — يعادوني قطع · والصواب يعاودني قطع ·

« للبحث صلة » سليم الجندي

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٦ —

وحدثني قال حدثني القاضي احمد بن سيار قال حدثني شيخ من التجار بعمان قال كنت بالابلة أريد الخروج الى البحر فرأيت سائلاً بباب الجامع فصيح اللسان مليح المسألة فرققت له واعطيته دراهم صالحة وخطفت في الوقت الى عمان فاقمت بها شهوراً ثم قضي لي ان مضيت الى الصين فدخلتها سالماً فاذا انا يوماً اطوف فاذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق فتأملته فعرفته فقلت له ويحك سائلاً بالابلة وسائلاً بالصين فقال قد دخلت الى هذا البلد ثلاث دفعات وهذه الرابعة لطلب المعيشة فلا اجدها الا من الكدية فارجع الى الابلة ثم ارجع الى هاهنا قال فعجبت من شدة حرمانه .

***

وحدثني قال حدثني قاضي القضاة ابو محمد بن معروف رضي الله عنه قال حدثني بعض اهل بغداد عن ابي عبد الله بن ابي عوف انه قال ضاق صدري في وقت من الأوقات ضيقاً شديداً لا اعرف سببه فتقدمت الى من

حمل لي طعاماً كثيراً وفاكهة وعدة من جوارٍ الى بستانٍ لي على نهر عيسى وامرت (١) غلماني واصحابي ان لا يجيئني احد منهم بخبر يشغل قلبي ولو ذهب مالي كله ولا يكاتبوني وعملت على ان أقيم في البستان بقية اسبوعي أتفرج مع أولئك الجواري قال وركبت حماري وقد تقدمني كما أمرت بحمله فلما قربت من البستان استقبلني فيج (١) معه كتب فقلت له من أين وردت فقال من الرقة فتابعت نفسي ان أقف على كتبه وأخبار الرقة وأسعارها فقلت له تعرفني فقال نعم فقلت انت قريب من بستان لي فتعال معي حتى اهب لك دنانير وأغير حالك وأطعمك وتستريح الليلة في البستان وتدخل بغداد غداً فقال نعم ومشى معي راجعاً حتى دخل البستان فأمرت من فيه ان يدخله حماماً فيه ويغير ثيابه ببعض ثياب غلماني ويطعمه فابتدروا معه في ذلك وتقدمت (٢) الى غلام لي فاره فسرق كتبه وجاءني بها ففتحتها وقرأت جميع ما فيها وعرفت من أسرار (٣) التجار الذين يعاملوني شيئاً كثيراً وتفرجت (٤) بذلك ووجدت جميع الكتب محشوة الى التجار بان يتمسكوا بما في ايديهم من الزيت ولا يبيعوا منه شيئاً فانه قد غلا عندهم وعزّ ويوصونهم بحفظ ما في أيديهم فأنفذت الى وكلائي في الحال فاستدعيتهم فجاؤا فقلت لهم خذوا من فلان الناقد وفلان الناقد كلما عندهم من العين والورق الساعة ولا ينقضي اليوم اوبتاعون (٥) كلما يقدرون عليه من الزيت واكتبوا اليّ عند انقضاء النهار بالصورة فمضوا فلما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ناقل البريد . (٢) بالاصل : وفقدت . (٣) بالاصل : اسار بحذف الجار .
(٤) لعله : وفرحت . (٥) لعله : ولا ينقضي اليوم أو تبتاعوا الخ .

كان العشاء جاءني خبرهم بانهم قد ابتاعوا زيتاً بثلاثة آلاف دينار فكتبت اليهم بقبض الوف دنانير أخر وبشري كلما يقدرون عليه من الزيت وأصبحنا ودفعت الى الفيج ثلاثة دنانير وقلت له ان أقمْ عنـدي دفعت اليك ثلاثة دنانير أخرى فقال أفعل وجاءتني رقعة أصحابي بانهم ابتاعوا زيتاً باربعة آلاف دينار وانه قد تحرك سعره لطلبهم إياه فكتبت بان يبتاعوا كلما يقدرون عليه وان كان قد زاد وشاغلت الرسول اليوم الثالث ودفعت اليه في اليومين ستة دنانير وأقام ثلاثة ايام وابتاع أصحابي باربعة (١) آلاف دينار أخرى وجاؤني عشياً فقالوا كان ما ابتعناه اليوم زائداً على ماقبله في كل عشرة نصف درهم ولم يبق في السوق شيء يفكر فيه فصرفت الرسول واقمت في بستاني اياماً ثم عدت الى داري وقد قرأ التجار الكتب وعرفوا خبر الزيت بالرقة فجاؤني يقرعون ويبذلون في الزيت زيادة اثنين في العشرة فلم أبع فبذلوا زيادة ثلاثة في العشرة فلم أبع ومضى على ذلك نحو من شهر فجاؤني يطلبون زيادة خمسة وستة فلم أفعل فجاؤا بعد ايام فبذلوا الواحد الواحد فقلت في نفسي تركُ هذا خطأ فبعته بعشرين الف دينار فنظرت فلم يكن لضيق صدري وانفرادي في البستان ذلك اليوم سبب الا ما أحبه الله تعالى ان يوصل اليَّ ربح عشرة آلاف دينار .

* * *

وحدثني قال حدثني صائغ كان يخدم في خزانة الامير معز الدولة يعرف بطاهر قال كنت أشرب يوماً في منزلي وعنـدي جماعة من إخواني

(١) الصواب : ثلاثة كما يظهر .

فانقطع بنا النبيذ فخرجت احتال لهم شيئاً من ذلك فلقيني ركابي فقال الامير يطلبك فقلت قل انك لم تجدني قال لا افعل فقلت خذ مني ديناراً وقل انك لم تجدني قال لا أفعل قال وانا معه اذ جاء ركابي آخر فبذلت لهما دينارين فأبيا وجاء الثالث فمضيت وحملت معي غلاماً كان لي فحين دخلت الى الامير قال لي امض فانظر مايقول لك علي المغني في الخزانة فافعله فجئت الى الخزانة فقلت لعلي ايش تريد فاخرج الي مناطق كثيرة ذهباً موكدة (١) بلاسيوف مما أخذه معز الدولة من تركة اخته (٢) وكانت الاخت تشدها في اوساط الجواري وتلبسهن القراطق والخفتانين وتلك المناطق فوقها ويخدمونها (٣) كذلك فلما حصلت لمعز الدولة لم يستحسنها فامر بكسرها وصياغتها مراكب وسيوفاً ومناطق اعجمية فقال لي اجلس واقلعها حتى تنظر كم يجتمع منها ويصاغ قلت لبس معي آلتي التي تستعمل فقال انفذ من يحضرها فأنفذت غلامي فأحضر بعض الآلة فما زلت اقلع واغتفل المغني واسرق واجعل ذلك في كمي وتحت عمامتي وارمي الى غلامي فاذا حصل معه شيء قلت له هات المبرد (٤) هذا قد كلّ فامض وجئني بغيره او هات الآلة الفلانية فيمضي وحصل (٥) ماقد سرقناه ويجيء بالآلة واسرق واعطيه واطلب آلة أخرى على هذا الى ان جاء المساء فجمع علي المغني تلك المناطق واخذ الوعد عليّ في الحضور في غد

(١) بالاصل : مولدة . (٢) بالاصل : أخيه .
(٣) الصواب يخدمنها . (٤) لعله سقط : الفلاني او الآخر .
(٥) لعله : ويحصل اي يضع في البيت .

ومعي الصناع وشريكي الموسوم (١) معي بالخدمة في الخزانة فانصرفت فوزنت ماقد حصل عندي وكان اربع مائة وثمانين مثقالاً فقلت اقبالي هذا حمات اليه كرهاً حتى اخذته بعد ان بذلت ان اعطي دينارين جعلاً ولا امضي وحدثتهم (٢) بالقصة فلما كان من الغد حضر الصناع وشريكي وجلسنا نفكك الباقي واحضرنا شيئاً آخر فمااستوى لنا ان نسرق الامائة وستين مثقالاً قاسمته عليها وعجبت من رزقي في ذلك ·

* * *

حدثني ابو الحسن ثابت بن ابراهيم بن هارون (٣) الحراني الصابئ الطبيب قال حدثني ابي قال كنت بين يدي الموفق يوماً فقال لي يا ابراهيم انا اشتهي شهوة منذ سنتين وهو ذا استقبح ان أطلبها وقد عن لي الساعة مواضعتك على طلبها قال قلت بأمر امير المؤمنين قال ويحك انا والله منذ سنين كثيرة اشتهي كبود الدجاج وقوانصها مطبهجة وأستقبح ان أطلبها فيظن صاحب المائدة ان نفسي قد تبعته شحاً به عليهم لان رسمهم جار بان يرتفقون (٤) بأخذه وبيعه وأريد اذا قدمت المائدة وجلست معي للأكل ان تشتهي ذلك علي ونشير به من طريق الطب لاتقدم اليهم باتخاذ شيء منه بشيء يسير فيصير ذلك القدر رسماً في كل يوم لا يؤثر عليهم قدره ويبيعون هم الباقي فانه كثير واكون قد قضيت شهوتي قال فعجبت من كرمه وفرط حيائه من خدمه

(١) لعله : الموسوم · (٢) لعله : ولم أحدث أحداً · (٣) الصواب : زهرون راجع عيون الانباء ١ : ٢٢٧ (٤) الصواب : يرتفقوا والضمير للمستخدمين في المطبخ ·

حتى يلفق الحيلة في الوصول الى شهوته من غير ايحاشهم اوتعرض لذمهم وقدمت المائدة فجلس يأكل عليها وحده وجلست مع الندماء آكل على مائدة بين يديه فلما اكل بعض اكله قلت له لِمَ لا يأمر امير المؤمنين الناصر بان يُتخذ له شيءٌ يسير في زبديات من كبود الدجاج المسمن وقوانصه بالبيض والمري فيطحن (١) بعضه فيولع منه بالشيء اليسير فان في ذلك كذا وكذا واخذت اصف ما حضرني في الوقت ونحن ايضاً نشتهي ان نأكل منه فقال يصلح لنا من غد كذا وكذا زبدية مطحن(٢) وكذا وكذا زبدية من كبود الدجاج المسمنة وقوانصها فاصلحوا ذلك وصار رسماً جارياً ولم يفطن احدمنهم بماجرى ·

* * *

ARCHIVE

حدثني عبيد الله بن احمد بن بكير قال حدثني ابو جعفر الضبي الفقيه الحنفي وقد شاهدته انا وكان من شيوخ التجار المستورين فقيهاً يحضر مجلس ابي للخلاف ويناظر ولم اسمع منه هذه الحكاية قال حدثني شيخ من التجار بسيراف قال كان عندنا نفسان يمشيان في طريق فرأيا صرة فيها دراهم ملقاة في الطريق فقال احدهما للآخر خذها واحفظها لصاحبها فقال الرجل لا افعل فقال لكني آخذها واحفظها فان وجدت صاحبها رددتها عليه قال فأخذها ومشى فاذا برجل يصيح فقالا له مالك فقال صرّة صفتها كذا وكذا فيها دراهم لي سقطت مني الساعة فقال الذي هي معه خذها فانها هذه فسلمها اليه ثم قال لصاحبه أليس لو كان الناس كلهم على مذهبك في ان لا يحفظوا على

(١) لعله : فيطجن · (٢) لعله : مطجن ·

الناس لضاعت اموالهم فقال له الآخر أليس لو كان الناس كلهم على مذهبي ماضاعت الصرة ولكانت تبقى في الطريق مكانها حتى يرجع صاحبها فيأخذها ٠

***

حدثني ابو الحسين علي بن النظيف المتكلم على مذهب ابي هاشم قال كنت مجتازاً بناحية وردان ممايلي سجستان ومكران وقد كان يسكنها الخليفة من الخوارج وهي بلدهم ودارهم فانتهيت الى قرية لهم وانا عليل فرأيت قراح بطيخ فابتعت واحدة فأكلتها فحممت في الحال ونمت يومي وبقية ليلتي (١) في قراح البطيخ ما عرض لي احد بشيء وكنت قبل ذلك قد دخلت القرية فرأيت شيخاً خياطاً في مسجد فتركت اليه رزمة ثيابي وقلت له تحفظها لي فقال دعها في المحراب فتركتها ومضيت الى القراح فلما أفقت من الغد عدت الى المسجد فوجدته مفتوحاً ولم أر الخياط ووجدت الرزمة نشرها في المحراب فقلت ماأجهل هذا الخياط ترك ثيابي وحدها وخرج ولم أشك في انه قد حملها بالليل الى بيته وردها من الغد الى المسجد انتظاراً لي فجلست افتحها وأخرج شيئاً شيئاً فاذا بالخياط فقلت له كيف خليت (٢) فقال أفتقدت منها شيئاً ؟ قلت لا فقال ما سؤالك قلت أحببت ان أعلم (٣) قال تركتها البارحة في موضعها ومضيت الى بيتي فأقبلت أخاصمه وهو يضحك وقال أنتم

(١) لعله : بقية يومي وليلتي ٠ (٢) لعله سقط : هذه الثياب ٠
(٣) قد سقط شيء معناه : حقيقة الامر ٠

قد تعودتم اخلاق الارذال ونشأتم في بلاد الكفر التي فيها السرق والخيانة وهذا لا نعرفه هاهنا لو بقيت ثيابك مكانهـا الى ان تبلى ما أخذها احد غيرك ولو مضيت الى المشرق والمغرب ثم عدت لوجدتها مكانها فانا نحن لا نعرف لصاً ولا فساداً ولا شيئاً مما عندكم ولكن ربما لحقك في السنين الطويلة شيء من هذا فتعلم انه من جهة غريب قد اجتاز بنا فنركب وراءه ولا يفوتنا فندركه فنقتله اما نتأول عليه بكفره وسعيه في الارض بالفساد أو نقطعه كما يقطع السراق عندنا من المرافق فلا ترى شيئاً من هذا قال وسألت عن سيرة أهل البلد بعد ذلك فاذا الامر كما ذكره واذاهم لايغلقون ابوابهم بالليل وليس لاكثرهم أبواب انما هي شرائج (١) ترد الكلاب والوحوش .

« للبحث صلة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الشريجة بالمهملة نوع من الستائر قال في الفرج بعد الشدة (١ : ١٢٥) رأيت شريجة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورتها كما كانت أو هي الشريجة بالمعجمة وهي باب من قصب يعمل للدكاكين .

آراء وافكار

—«»—

«دَرْ»

كلمة فارسية معناها (باب) وفي اللغة العربية (القديمة والحديثة) عدة كلمات مبدوءة بكلمة (در) مما يدل على أن أصلها اعجمي . من ذلك :

﴿ دَرْبان ﴾ استعملها العرب بمعنى (البوّاب) اي حافظ الباب وحارسه وجمعوها على (دَرابنة) وانشد الجوهري للمثقب العبدي يصف ناقته (كمدكان الدرابنة المَطين) .

(دَرْبَند) كلمة (بند) من مصدر (بندن) الفارسي ومعناه الربط ومنه البند والبنود لضفائر المرأة ولحمائل السيف والرايات . ومعنى (دربند) الباب المربوط اي المغلق الموثق فالدربند الباب الذي لا يمكن النفوذ منه بسبب غَلقه ثم سمي (الغَلَق) نفسه (دربند) والعامة تسمي غلق الدكان (دروند) بقلب الباء واواً . والعرب يسمون مضيق الجبل (دربند) وهو من الفارسية بالطبع لأن مضايق الجبال يكون فيها غَلَق او سد من العمد أو الأخشاب أو سد من الخفراء والحراس ومنه مدينة (دربند شروان) ويسميها جغرافيو العرب (باب الأبواب) وهي مدينة على بحر قزبين وراء جبال القفقاس مما يلي بلاد الروس منسوبة الى (كسرى انوشروان) وكأنها سميت (دربند) لحصانتها أو لما أقيم فيها من الحراس والجنود ومتين الاغلاق .

﴿ درب ﴾ يطلقها المولدون على الطريق السالك ومنه قول ابن الوردي :

(لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل)

وأما هي في كلام فصحاء العرب فيراد بها (الباب الكبير) و (المضيق في الجبل) وقد سميت المضايق الواقعة على حدود بلاد الروم لجهة الشام والعراق (دروب) وهي الثغور

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايضاً يُدخل منها الى بلاد الاسلام ويُخرج ويقال أدرب الجند اذا سلكوا تلك الدروب واجتازوها · وتسميتها بذلك قديمة ومنه قول امرئ القيس :

(بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا)

فالدرب كلمة فصيحة ولعل فعل (درّبه يدربه تدريباً) جاء من الدرب اذ أن التدريب في الاصل ان يعوّد المرء سلوك الدروب ثم عمّ كل عمل آخر وسمعت بعض الاساتذة يلفت نظر تلميذه وهو يبحثه الى كلمة (الدرب) في شعر امرئ القيس ويلومه على كونه لم يزيفها ولم ينتقدها من جهة انها كلمة عامية مبتذلة وقال الأستاذ كان على امرئ القيس ان يقول (بكى صاحبي لما رأى النهج دونه) فان (النهج) افصح من (الدرب) · ولا أرى الأستاذ على صواب فيما قال : (اولاً) لأن الدرب ان كانت ابتذلت في زماننا فانها لم تكن مبتذلة في الجاهلية · ولكلمات اللغة تاريخ واطوار و (ثانياً) إن امرأ القيس لم يرد (بالدرب) مايريده عامتنا من معنى الطريق أو الزقاق وانما أراد الثغور والمضايق المعهودة الواقعة بين بلاد الروم والعرب · فكلمة (الدرب) أو (الدروب) اصبحت اسماً علماً لا يجوز لامرئ القيس ولا لغيره ان يبدل بها كلمة (نهج) و (مناهج) · و (درب) اعجمية كما قال صاحب المصباح فتكون محوتة من كلمة (دربند) السابقة فان (الباب الكبير) و (المضيق في الجبل) و (مدخل بلاد الروم) — كلها أبواب ذات اغلاق وسدود وحرّاس لا يمكن النفوذ منها · « راجع كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) لمؤلفه السيد ادّي شير الكلداني » ·

☼درويش☼ معروف معناه وهو مركب من (در) بمعنى باب و (ويش) بمعنى أمام قدام فمعنى الدرويش في الأصل انه فقير يقف على الأبواب لسؤال الصدقة أو على باب الله يسأل العفو والمغفرة ·

☼ درباس ☼ هو في لغتنا الدارجة اسم لحديدة تعترض خلف الباب فلا يعود يمكن فتحه · والدرباس في فصيح اللغة العربية اسم للأسد وأنشد في (العباب) لرؤبة بن العجاج (كأنه ليس عربن درباس) ومن المستبعد أن يكون اسم (درباس) بمعنى الباب مأخوذاً من معنى الأسد العربي والأقرب أن يكون أعجمي الأصل من (در) بمعنى باب و (باس) محرف (باص) من مصدر (باصمق) التركي بمعنى الشدّ والتضييق والكبس والعصر · ولاجرم أن حديدة الدرباس يُشدّ بها على الباب فلا يُفتح ·

﴿درابزين﴾ يراد بها اليوم أخشاب بشكل خاص توضع حاجزاً على الدرج او حول السطوح وهي مركبة من (در) بمعنى باب و(بزين) بمعنى تحت كذا في (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) ومعنى (تحت) في الفارسية (خشب) فيكون معنى (درابزين) باب خشب فلعله كان يطلق في اول استعماله على حاجز خشبي يوضع على الأبواب ثم توسعوا في اطلاقه على المعنى الذي نستعمله فيه اليوم ٠

﴿ درفة ﴾ يطلقها عامتنا اليوم على غَلَق الباب والشباك فهل هي محرفة عن (د بة) تأنيث درب أو مركبة من (در) بمعنى باب وكلمة أخرى مبدوءة بفاء ؟ وقد صرح صاحب التاج ان (درفة) عامية فقد قال (ودرفة الباب مصراعه واكل باب درفتان هكذا يستعمله العوام) اه ٠

﴿درسعادت﴾ اسم للقسطنطينية في عهد الاتراك العثمانيين ومعناها باب السعادة ٠ قال شمس الدين سامي وقولهم (درعليه) غلط اه ٠ يريد ان قولهم (درسعادت) يفهم منه معنى (باب السعادة) ٠ اما (درعليه) فلا يصح ان يفهم منه (باب العلية) إذ لا معنى له لكن يقال ان (درعلية) مختصرة مثلاً من (درسعادت عليه) اي باب السعادة العلية ٠

المغربي

كتاب تذكرة النوادر

«من المخطوطات العربية»

عنّ لجلالة السلطان (مير عثمان علي خان) صاحب حيدر اباد خاطر شريف في نشر العلم فأصدر أمره بتأليف كتاب يحتوي على صفوة المخطوطات العربية النادرة فتلقت جمعية دائرة المعارف أمره بالارتياح ورشحت لهذا العمل (الأستاذ هاشم الندوي) فرحل في نواحي الهند منقباً في بطون الخزائن فظفر بنصيب وافر مما اراده وسعى اليه واودعه كتاباً سماه (تذكرة النوادر) وهو على شكل بديع : يذكر اسم الكتاب برقمه الخاص ثم اسم المؤلف وتاريخ وفاته وذكر شيء من مناقبه · ثم يذكر مزية الكتاب وتاريخ كتابته والخزانة التي عثر عليه فيها · وقد قدم كتب السلف على الخلف · ورتبه على العلوم بحسب خطورة أمرها فابتدأ بالقرآن ثم بالحديث الخ · وأول كتاب ذكره هو كتاب (إعراب القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ) وآخر كتاب ختم به كتاب (الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية) للشيخ عبد الكريم الجيلي ·

انتهى ملخصاً من مقال نشر في مجلة (الضياء) الهندية جزئها الخامس بقلم الأستاذ تقي الدين الهلالي وقد ختم الكاتب مقاله ببيان رأيه في الكتاب : من ذلك انه كان على المؤلف ان يذكر حجم كل كتاب وعدد اجزائه ليعرف الأمر من يريد استنساخه وليعرف ان كان الكتاب مطولاً أو متوسطاً أو مختصراً · وقال أن من رأيه ان يضرب الصفح عن ذكر ما لاقيمة له من مصنفات المتأخرين — وقال قد فات مصنف الكتاب ذكر كتب نادرة في اقطار العالم الاسلامي ولا سيما المغربين الأدنى والأقصى ·

(المجمع) لم يعجبنا نقد الأستاذ (الهلالي) للأستاذ (الندوي) فيما يتعلق باهماله نوادر الكتب في الأقطار الاسلامية · فان هذا غير مستطاع وان استطاعه المؤلف فانه يعوزه مراجعات ومراسلات ونفقات وغير ذلك مما يثبط الهمم عن إنجاز المشروعات وانما كل ما نريده من الأستاذ الندوي ان ينشر لنا أخبار المخطوطات الهندية · واما الأقطار

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا ُخرى فلها علماء ينقبون عنها أو عليهم أن ينقبوا ثم ينشروا خبرها فالشكر للفاضل الندوي .

***

وفي مجلة (الضياء) ايضاً أن (حكومة الأيالات المتحدة) في الهند نشرت تقريراً عن المطبوعات التي طبعت في السنة الأخيرة (في الهند بالطبع) وقد جاء فيه ذكر الكتب والصحف التي نشرت في مختلف اللغات فكانت الكتب الهندية (٢٠٥٨) والأوردية (٥٦٠) والانكليزية (٣٠١) والسنسكريتية (٣٠!) وغير ذلك من البنغالية والكجراتية والفارسية التي لم ينشر فيها الا تسعة كتب فقط اما لغة القرآن العربية فقد كسدت سوقها هذه الديار على ما يظهر والصحف التي نشرت باللغة الهندية (٣٥٣) والأوردية (٢٢٥) والانكليزية (٨٤) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من نوادر المخطوطات

«في دار الكتب الظاهرية»

— ٧ —

(ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض) : تأليف ابي العباس احمد بن محمد التلمساني المعروف بالمقري المتوفى سنة ١٠٤١ ه في القاهرة وهو صاحب نفح الطيب · أوله : الحمد لله الذي اعلى مراتب العلماء الاعلام الخ · نسخة في ٦٤٤ صفحة كبيرة بخط محمد الخضري [رقم ٨٣٠ التاريخ]

(غريب القرآن) — تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ أوله : يرحمه الله لمفتتح كتابنا هذا ونذكر اسماء الله الحسنى وصفاته الخ · وهو مرتب على سور القرآن · نسخة في ٢٩٠ صفحة صغير تنتهي الى سورة اذا الشمس كورت · كتب بخط نسخ ومضبوط بالشكل يرجع الى القرن السادس [رقم ٣٣ اللغة] ·

(صفوة الصفوة) : تأليف جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن المعروف بابن الجوزي البغدادي المولود سنة ٥٠٨ المتوفى ٥٩٧ ببغداد · اختصرها من كتاب حلية الأولياء لابي نعيم فبدأ بالحرمين الشريفين ثم عاد الى بغداد فجعلها مركزاً فذكر ما كان في شرقها من البلاد ولما انتهى منها ذكر ما كان في غربها من البلاد وختم الكتاب بعباد الجن مرتبة على الطبقات · الموجود منها نسخة في اربع مجلدات ملفقة من خطوط مختلفة ومن نسخ مختلفة ومن هذه المجلدات تتألف نسخة فيها اكثر الكتاب أوله : الحمد لله الذي يعلم ماظهر وما خفي وما تكدر وما صفى الخ [رقم ٦٧ — ٧٠ التاريخ] ·

(طبقات الحنابلة) : [1] تأليف ابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي الفراء الشهير سنة ٥١٦ · أوله : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع

(١) اختصار شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفى سنة ٧٩٧ ه طبع بمعرفة السيد احمد عبيد سنة ١٣٥٠ ه ·

والمتن التوابع والنعم السوابغ الخ · ورتبها على ترتيب الطبقات الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاة انتهى فيهـا الى سنة ٥٦٥ هـ · نسخة في ٦٤٠ صفحة كبيرة كتبت بخط نسخ سنة ٨٣٥ هـ [رقم ٥٩ التاريخ] ·

(المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم) تأليف محمد علي بن محمـد بن سعيد المعروف بابن حزم الأندلسي صاحب الملل والنحل وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة ٤٥٦ وهي رسالة في ٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ٧٥٥ هـ [رقم ٤٥ الآداب المنثورة] ·

(ثمار المقاصد في ذكر المساجد) تأليف يوسف بن حسن بن عبـد الهادي الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩ نسخة في ٢١٠ صفحات صغيرة بخط المؤلف [رقم ٨٧ الآداب] ·

(سفر السعادة وسفير الافادة) تأليف ابي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ · أوله : باسم الله الذي باسمه تفتتح الاوائل الخ · الموجود منه جزآن في مجلد واحد عدد صفحاته ٣٢٠ بخط عبد الملك بن يوسف سنة ٦٣٧ [رقم ١٤ الآداب] ·

(شرح مقصورة ابن دريد المشهورة) تأليف ابي عبد الله محمد بن احمد بن هشام اللخمي المتوفى سنة ٥٥٧ نسخة في ٢٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ١٠٣٠ [رقم ٣٦ الآداب] ·

حسني الكسم

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

رحلة الى القاهرة

« ١٣٤٩ هـ و ١٩٣١ م » (١)

اذا ركبت قطار السكة الحجازية في محطة القنوات بدمشق فانطلق بك صاخباً ينساب بين حدائق الغوطة الغناء تحت باسقات الادواح وبين قصيرات الجنبات وطويلات الأنجم وخلال مخضرات البقول على انواعها ، سيراً مع نفي بردى وسواقيه التي لاتحصى ، وقد آذنت تباشير الربيع بتفتق البراعم والعيون عن افانين الزهر ومخضل الورق ، وبدت عن يمينك بلاس وداريا وغيرهما من القرى فذكرتك بقول الصنوبري :

ونعم الدار داريا ففيها ... صفا لي العيش [illegible]
ولي في باب جيرون ظباء ... أعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
صفت دنيا دمشق لمصطفيها ... فلست اريد غير دمشق دنيا

ثم طلع بك الجبل المانع وهو يلهث تعباً فاستقبلتك اللجاة بحرتها السوداء ، فطواها على عجل الى حوران حيث تذكر قول جرير في صفاتها :

هبت شمالاً فذكرى ما ذكرتكم ... عند الصفاة التي شرقي حورانا
هل يرجعن وليس الدهر مرتجعاً ... عيش بها طال ما احلولى وما لانا

حتى اذا بلغ بك وادي اليرموك فانحدر فيه قلقاً حذراً يتئد في سيره ، وانت تذكر روعة التاريخ في وقعة ذلك الوادي الشهير ، وتمتع ناظريك بأزهاره الفتانة التي تنبتها الطبيعة على انواع واصناف لاتعد ، ثم استقبلك نهر الأردن وبدت امامك بحيرة طبريا فقف هنالك واذكر دمشق وقل مع اليزيدي :

(١) محاضرة القاها الأمير مصطفى الشهابي في ردهة المجمع العلمي العربي في ٦ تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٣١ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما ذا بقلبي من دوام الخفق   اذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأردن او دمشق   لأن من اهوى بذاك الأفق

ذاك الذي يملك مني رقي   ولست ابغي ما حييت عتقي

وتبدو لك بعد قليل بيوت بيسان واشجارها وهي تنظر من عل الى غور الأردن كأنها تدفع عنه صروف الدهر . ومن العجيب انك لاتشاهد حولها كرماً مع ان خمورها كانت مضرب الأمثال فيما مضى . ولاازال اذكر البيت الذي قاله عبدالرحمن بن سيحان بن أرطاة في سبيئة بيسان اي خمرها وهو :

سبيئة من قرى بيروت صافية   عذراء اوسبئت من ارض بيسان

وليس في مرج ابن عامر ما يلفت نظرك سوى كثرة الصهيونيين فيه ، وفي السهول التي تقطعها في اليوم الثاني الواقعة جنوبي حيفا الاطول كرم وقلقيلة ورملة ولد فانها حمت نفسها منهم ولا يزال يصح فيها قول كثير :

حموا منزل الأملاك من مرج راهط   ورملة لدّ ان تباح سهولها

وكأني بك ذاكر قبيل الغروب وقد بلغ بك القطار غزة قول الامام الشافعي فيها :

واني لمشتاق الى ارض غزة   وان خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله ارضاً لو ظفرت بتربها   كحلت به من شدة الشوق اجفاني

ومتى ارخى الليل سدوله رأيت القطار يضرب بمن فيه صحراء التيه دون ان يتيه ، لأن السكة امامه ممدودة تتلوى كالأرقط وهو كما قال حافظ : حديد ينساب فوق حديد ، فلا خوف في دخوله التيه ، ان يضل كما ضل قوم موسى او يجازف مجازفة المتنبي في قوله :

ضربت بها التيه ضرب القمار   اما لهذا واما لذا

واذا ماجزت قناة السويس في القنطرة وركبت قطار مصر فانطلق بك في دساكر القطر ومستغلاته ، فلاتطمع بان تمتع نظرك في الليل البهيم الا بمصابيح البلدان والمدن التي يمر بها القطار حثيثاً ، او يقف بها هنيهة وقفة القلق الذي لم يبلغ الغاية في سيره ، حتى اذا بدت لك مصابيح القاهرة المشرقة حق عليك ان تحيي مصر بصرخة شبيهة بالتي خرجت من فؤاد الشاعر الياس فياض :

سلام على مصر ولو عشت ادهراً … لما كنت الا طول عمري مسلما
على موطن لو خير المرء موطناً … من الارض لم يختر ابر واكرما
سرت في اهاليه عذوبة نيله … وسال فما ان تعرف الماء منهما

ولا تعجبن بعد خروجك من المحطة ليلاً لوفرة الأنوار المتألقة في ساحتها ، وفي شارع الملكة نازلي الطويل البديع ، ولا لروعة تمثال نهضة مصر الذي يجب ان تحييه تحية من يعشق الحرية اينما كانت ، فكيف في عاصمة الفاطميين والأيوبيين ، ولا لازدحام السيارات والعجلات وضخامة الابنية ، وكثرة المارة ، ونظافة ارض الشوارع المصقولة صقلاً ، فأنت في مدينة اوربية في عظمتها ، شرقية في روعتها ، وهذا المزيج هو مما يستخفك ويستهويك ، فلست في الاسكندرية ولا في بورسعيد حيث رطانات الاجانب بمختلف الألسن الأعجمية ، يجعلك تتمنى ان تُصم اذناك الى حين ، وحيث يظهر هؤلاء امامك بمظاهر تود معها لو كان لك عينا المعري ربما تنسل من بينهم بسرعة الكهرباء .

انك اينما سرت في القاهرة تجد شوارع نظيفة واسعة ، وابنية كبيرة شاهقة ، وحدائق مزدانة باجمل اشجار البلاد الحارة ، وتجد ايضاً جوامع قديمة وحديثة ، وقصوراً مبنية على الطراز العربي تأخذ نقوشها وزخارفها وتطاريزها بمجامع القلوب . فحدائق الأزبكية والنباتات ، والقناطر الخيرية والحيوانات ، والأسماك والمعادي وغيرها وهي كثُر ، ثم جوامع السلطان حسن والرفاعي وابن طولون وسيدنا الحسين والأزهر ومحمد علي وعشرات غيرها من آيات الفن المنبثة في انحاء المدينة كلها ، تحملك على الاعتقاد بأن القاهرة هي اروع مدينة لا في الشرق العربي وحده بل في الشرق الأدنى بلا جدال . واجمل من المدينة سكانها فأنك لا تزتطم فيها بعدد كبير من صلفاء الأجانب ، بل الجمهور الذي تقع عليه عينك احد اثنين مصري اسمر بشوش مرح محتفظ بطربوشه القصير ، او مصرية سمراء كحلاء هيفاء في الغالب لفاء في الأقل ، تختال في الحرير الأسود سافرة الوجه او مسبلة عليه نقاباً أرق من دين صاحب البيت الآتي في الخمرة وهو ابو نواس .

عتقت في الدن حتى … هي في رقة ديني

نعم لقد رقت النقاب على وجه السيدات المصريات حتى طار نصفها لدى نصفهن ، واوشك النصف الثاني ان يلحق بأخيه ، وصرت ترى السيدة المصرية تجلس بجانب الرجل في

مجالس الأدب ، وابهاء المحاضرات والحدائق والمسارح وغيرها دون ان يعد ذلك منها خروجاً على المألوف من العادات . وولدت المدنية الاوربية هذه احال تدريجياً فالمرأة المصرية أسلم فيها عاقبة من المرأة التركية التي حملوها قسراً على أخبث ما في السفور من أمور مستقبحة . ومن المعروف ان القرويات في مصر كالقرويات في الشام لا يتخذن النقاب على أوجهن . وأنت اذا أردت شبهاً لصور المصريات في المتاحف وعلى الستائر ، بقدودهن الهيف ، وعيونهن السود التي يشبهونها بفلقة اللوزة ، وما أوجدته الطبيعة في الأهداب من كثافة وكحل ، وفي الحواجب من استقامة وقصر ، الى غير ذلك من الصفات التي تلفت نظرك في صور المرأة المصرية القديمة ، فانك واجد هذا الشبه في فتيات القرى المصرية لا فتيات المدن .

ومتى رحت تبحث في القاهرة عن كل ما يجب عليك ان تراه وتدرس بإمعان كل ما يحتاج الى درس حق عليك ان تسلخ فيها اشهراً بل سنوات . ولو جشمت نفسك التأليف في ذلك لما خرجت بسفر بل بأسفار . وبعد فاذا تراني محدثك عما شاهدته فيها خلال أيام معدودات ، أأذكر دار الآثار المصرية ، وفيها تتجلى عظمة المصريين الأقدمين فيما خلفوه من هياكل وتماثيل ونصب مصنوعة من الحجر الصلد ، واثاث ورياش وحلي مذهبة ، قرأتم عنها فيما كتب عن توت عنخ آمون خاصة الى غير ذلك مما يجعل تلك الدار لا تقل في عظمتها وغناها عما شاهدناه في اكبر المتاحف الأوربية . أم أذكر دار الآثار العربية وهي ان لم تستثر دهشتك من حيث عظمة ما فيها من مخلفات الأجداد فتنتك بما تحويه من دقيق النقش والوشي والزخرف واعادت الى نفسك ذكرى روعة الممالك العربية في إبانها . أم أتحدث عن اهرام الجيزة وسقارة وابوصير وغيرها . اوا كتفي بهرم خوفو الأكبر في الجيزة وهو من اقدم مابنته يد الانسان ، رسا اصله على ٢٣٣ متراً من الأرض ، وعلا جرمه فوقها حتى بلغ ١٤٧ متراً . وهنالك يربض ابو الهول الجبار الذي هزأ بالدهر كالهرم ، وصارع احداثه مثله ، حتى ناجاه امير الشعراء بقوله :

ابا الهول طال عليك العصر وبلغت في الأرض اقصى العمر
فيا لدة الدهر لا الدهر شب ـ ولا انت جاوزت حد الصغر

ومتى ذكر ابو الهول وجب ان يتصور الانسان اسداً رابضاً من حجر طوله ٥٧ متراً

وعلوه ٢٠ متراً وله رأس آدمي تبلغ أذنه ١٠٣٧ متر ويبلغ فمه ٢٠٦٣٢ متر ولو وقف رجل على فرع أذنه ومد يده لمابلغت قمة رأسه . ام انتقل بك طفراً الى مصر الجديدة حيث ترى الآيات البينات في بناء المدن الحديثة ، من قصور شاهقة ، وشوارع نظيفة واسعة ، وحدائق هي بهجة للناظرين . ولو شاهدت اجمل الأحياء في المدن الأوربية لما تركت في نفسك اثراً يفوق الأثر الذي تعابعه فيها رؤية مصر الجديدة . ام اسير بك الى حي الزيتون والمطرية وواحة عين شمس فتتذكر هنالك قول امير الشعراء في قصيدته « المطرية تتكلم » .

لولا حلى زيتوني النضر ما اقسم بالزيتون ربّ العباد
الواحة الزهراء ذات الغنى تربي التي ما مثلها في البلاد
تريك بالصبح وجنح الدجى بدور حسن وشموس اتقاد

وبين الزيتون وواحة عين شمس ترى بيت الامام محمد عبده رحمه الله وقد اوشك يتداعى فتنقبض لذلك نفسك وتود لو ان الحكومة المصرية على غناها رممته وجعلته بيتاً من بيوت الأمة يحج اليه ابناء الشرق العربي كافة ، و كنت ادليت بهذا الرأي الى معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاستصوبه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أم نصعد الى القلعة التي كان أمر ببنائها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على أحد منحدرات المقطم ، فنحظى بمنظر لا تقع العين على اجمل منه لبيوت القاهرة الجميلة ، وجوامعها البارزة ، ومآذنها الشاهقة ، وقبابها الكروية ، وجنانها الفردوسية ، ونيلها الهادي ، تنساب مياهه بجلال وعظمة . وهنالك ندخل قصر محمد علي الكبير فنتذكر أيامه الغر ، وايقاعه بظلام المماليك ، واستئصاله شأفتهم . وندخل الجامع الذي بناه ذلك الرجل العظيم ، وأتمه الخديوي سعيد باشا على طراز جامع نور عثمانية في فروق ، بقببه البيزنطية العظيمة ومآذنه الرشيقة العالية ، فنحيي فيه ضريح مؤسس النهضة الحديثة باحترام وخشوع . أم نمتطي السيارة فنطلقها شمالاً الى شبرا فالقناطر الخيرية حيث نشاهد ذلك السد العظيم الذي بدأ به محمد علي ، فأقامه في وجه النيل وأتمه بعده خلفاؤه ، وحيث تقع العين في الجزيرة التي ولدتها الترع على حديقة غناء من اجمل حدائق العالم تتسابق فيها بالجمال اشجار الفصيلة الصنوبرية ، وهن ملوك دوحة النبات واشجار الفصيلة النخلية وهن أمراؤها ، دع أنواع السنط والجميز ومختلف الأزهار . واعجب لأرض الحديقة كيف

اوجدوا فيها تلك المنعطفات والمنحدرات والتلال الصنعية وكيف زينوها بتزاويق الزهر وتعاريجه . فاذا ما اضفت الى خضرة الحديقة وزرقة النيل حمرة وجوه الحسان المرحات فانت اذن في الجنة التي فضلها أمير الشعراء على جنة الخلد عند ماهتف ببيتيته المشهورة في الأندلس :

وطني لو شغلت بالخلد عنه   نازعتني اليه بالخلد نفسي

أم نيم الجنوب في القطار الى حلوان بلدة عبد العزيز بن مروان ، فنعيد الى الخاطر ماكان بنى الأمير فيها من دور وقصور وما زرع من بساتين وكروم ، ثم نزور حمامها الكبريتي الشهير فنرى بناء عربياً فخماً بنته الحكومة يحتوي على عشرات من الغرف والمقاصير النظيفة فيها مغاطس تملأ بالمياه الكبريتية أو المياه العادية والنافذات للبخار أو للهواء الحار . وكأني أراك أمام هذه الوسائل الحديثة ذاكراً حالة حماماتنا الكبريتية في طبريا والحمة وضمير والسخنة وتدمر وغيرها ، وهي كما اوجدتها الطبيعة لم تعمل بها يد انسان، ولم ينفق فيها دانق واحد .

أم ترانا نترك البلد الى حين فنقلت بضع ليال في شارع عماد الدين ، وما عهدنا عماد الدين الكاتب الذي جعله صلاح الدين في خاصته ، اخا لهو وطرب بل عهدناه على حد وصف الجاحظ لأمثاله « الف تفكير وتنقير ودراسة كتب وحلف تبيين » . ولو لم يكن كذلك لما الف «خريدة القصر وجريدة العصر» في عشر مجلدات ، والبرق الشامي وهو سبع مجلدات في التاريخ ، وديوان شعر وديوان رسائل وغيرها . فاذا صحت نسبة الشارع المذكور اليه « ولست اعلم عماداً للدين غيره تصح فيه هذه النسبة » كان من عبث الدهر وهزله ان تجتمع انواع الملاهي في شارعه حتى صار يعرف بها وصارت تعرف به . فهنالك تشاهد يوسف وهبي اشهر ممثل انجبته مصر ومسرحه يعرف بالجد سواء من حيث التمثيل أم من حيث الآداب التي يشترط على المتفرجين ان يتحلوا بها . فانت لاتجد هنالك اخلافاً بالمواعيد أو قهقهة أومسامرة أوشرب ماء أو تدخين تبغ اثناء قيامالممثلين بعملهم . ومتى فرغ الممثلون من تمثيل احد الفصول جعلوا لك بينه وبين اخيه وقتاً تدخل فيه بهواً واسعاً فتأكل وتشرب وتدخن وتطلق للسانك العنان . ويكاد يكون مسرح فاطمة رشدي متحلياً بالصفات المذكورة . وهو يمتاز بصاحبته التي تحلت برشاقة القد وجمال

الصورة وجودة التمثيل ، فكانت أشهر ممثلات مصر على الاطلاق . ولقد أبدعت في رواية مجنون ليلى تلك الرواية التي تعد من فرائد شوقي شاعر العرب الأكبر ، كما أبدع رفيقها احمد علام . ولا شك ان التمثيل العربي في مصر لم يبلغ بعد مستوى التمثيل في دار الأوبرا الملكية حيث تمثل فرق اجنبية غالباً ، وهو لا يزال بعيداً عما شاهدناه من الروايات في اوربة . ولكن القصور على ما أرى ليس في غواة التمثيل المصريين ، ولا في مؤلفي الروايات التمثيلية بل في ضيق ذات يدهم جميعاً . فلو مدتهم الحكومة بالمال الكافي لبرهن كل منهم على انه اخو عبقر في عمله ، ولنهضوا بالتمثيل العربي الى المستوى الذي تتوق اليه .

وفي ذلك الشارع تسمع صوت عبد الوهاب يزينه تفنن صاحب الصوت بالغناء وانتقاؤه قصائد شوقي المتينة الحوك والجميلة المعنى ، ولو أعطيت ام كلثوم صناعة عبد الوهاب ثم لو انتقت على الأقل قصائدها الغزلية من نظم فحول الشعراء المتقدمين أو المتأخرين لبلغت سدرة المنتهى ، ولضاعف تأثير صوتها العذب الذي ما حاكاه صوت رجل أو امرأة في البلاد العربية على ما نعلم . ولا شك أن لحوك القصائد ومعانيها تأثيراً كبيراً في نفس المستمعين فشتان من حيث السبك والمعنى ما بين قولك :

متى يا جميل المحيا أرى رضاك ويذهب عنا الغضب
واني محب كما قد عهدت ولكن حبك شيء عجب

وبين قول الثاني :

ليلى تردد في سمعي وفي خلدي كما تردد في الأيك الأغاريد
اغير ليلاي ناديا ام بها هتفوا فداء ليلى الليالي الخرد الغيد

والقصيدتان أصبحتا أشهر من نار على علم ، الاولى تنشدها ام كلثوم والثانية عبد الوهاب .
واما من حيث الفن فلا يزال ينقصنا الشيء الكثير من التنويع والتشكيل والمفاجآت فقد مللنا من الانغام المحزنة وما فيها من نواح وعويل . ولست اقصد بذلك تقليد الفرنجة بانغام باردة كالتي اخذ بعضهم يلحنونها في هذه الأيام ليست بشرقية ولا غربية وهي جديرة بثقب صماخ الأذن قبحاً وسماجة . وبعد هذا ماذا تراك ملاقياً في شارع عماد الدين ؟ انك ملاق فيه ممثلين للروايات الهزلية ودوراً للروايات السينمية وفرقاً للرقص والخلاعة مما يجعل عماد الدين الكاتب رحمه الله يتمنى لو كان سمي بأي اسم آخر او لو انه لم الذين احبوا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تخليد اسمه تخلدوه في غير هذا الشارع ·

ولنعد بعد هذه الجولات الليلية الى حياة الجد في النهار ، ولنزر على عجل ما يتاح لنا زيارته ذكرها في ايامنا المعدودات · ولنبدأ بدار الكتب المصرية فهنالك يلقاك مديرها العالم اسعد بك برادة بوجهه البشوش ويعرفك ببعض مساعديه ، وكل منهم استاذ فاضل بحاث عن الكتب ، نقار خلال سطورها ، يدرك منها بالعين المجردة مالا يراه غيره بالمجهر · ولله ماحوته تلك الدار من نفائس الرقوق والمصاحف القديمة وغالي المخطوطات والكتب فانها ثروة في البلاد اي ثروة ، واعجب لجهود الذين يطبعون الكتب الادبية في مطابعة تلك الدار فيخرجونها في تلك الحلل القشيبة التي اكتسى بها كتاب الأغاني وكتاب الأصنام وديوان مهيار الديلمي وعيون الأخبار للدينوري ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وأشباهها ·

وهل يجوز ان نعود من مصر دون أن نزور رجال الأدب والصحافة فيها ولا سيما الشاميين منهم وهم في ذلك البلد قوة يحسب لها ألف حساب · خدموا اللغة العربية بجهودهم وأناروا الأذهان بمنتوجات عقولهم ، ومازحوا الى اليوم ثابتين على أهم الصحف امامالكين لها أو كتاباً فيها[1] · وباي يجب ان نبدأ ، وأي صحيفة أحق بالاكبار من المقتطف شيخة مجلاتنا العلمية ورأسهن ، وأي ذكرى في عالم الصحافة العربية أحق بالتخليد من ذكرى العلامة الفقيد الدكتور يعقوب صروف وهو من لم يجاره احد قبل مماته ولا بعده بسلاسة لغته العلمية وصحتها ، وسلسلة الأبحاث فيها ، حتى أصبح جميع الكتاب الذين يقام لقولهم وزن يجزمون بان العلوم الطبيعيـة خاصة لم تكتب بقلم أصلح من قلم الدكتور يعقوب · ولئن حالت الأقدار دون رؤية الفقيد فقد متعتك بخليفتـه فؤاد صروف وهو يبدو لك شاباً في رزانة الشيوخ وحنكة أصحاب السياسة والادارة ، ليس له بساطة العلماء واسترسالهم في الأحاديث ، وان كان منهم بل تراه يزن كلامه كما يزن بعينيه مخاطبه · وقد دل حتى اليوم على انه جدير بأن يقوم بحمل المقتطف الثقيل خير قيام ·

ونجد في تلك الدار دار المقتطف والمقطم ذلك الشيخ الجليل والسياسي الاقتصادي

(١) من البديهي اننا لم نتعرض للمذهب السياسي الذي دان به كلُّ رجل من رجال الادب والصحافة الذين تناولناهم في بحثنا هذا ·

المحنك الدكتور فارس نمر الذي له علينا حق المواطن على ابن بلدته (حاصبيا) وحق الصحافي القديم الذي مايرحت صحيفته تسير على وتيرة واحدة منذ نصف قرن تقريباً . وهنالك ايضاً خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم ولولبها الذي يسيرها بحكمته المعروفة على الخطة التي رسمت لها .

واذا ماانتقلنا الى دار « الاهرام » وهي أقدم الصحف اليومية الحاضرة ، دهشنا لعظمة ذلك البناء ، وظننا نفسنا في احدى دور الصحف الاوربية الكبرى . وهنالك وجدنا شخصيتين بارزتين مشهورتين في عالم الادب والصحافة اولاهما شخصية الاستاذ داود بركات رئيس تحرير « الاهرام » بل قلبها الخفاق وسر الحياة فيها ، وهو يشجيك بدهائه وفرط ذكائه ووفرة نكاته التي يأخذ بعضها برقاب بعض . ولم اجد اقدر منه على القيام باعمال مختلفة في آن واحد . فقد كان في مكتبه يقص علينا من نكاته العذبة ، وينظر في قصيدة بعث بها احد الشعراء ، ويجمع عدة اخبار قبل نشرها ، ويملي وصفاً لأحدى الحفلات ، كل ذلك في آن واحد وبسرعة البرق ، ويدون ان يمل احد او يهضم حق احد ، حتى قلت لنفسي اذا كانت قوة المرء على تدوير دولاب الأعمال الصحافية تقاس بعدد الأحصنة فأن ماقي دماغ الاستاذ بركات من قوة يساوي الف حصان على الأقل . . .

أما الشخصية الثانية في «الاهرام» فهي شخصية الكاتب الفذ والوطني الصادق الوطنية الأستاذ اسعد داغر ، وقد وجدناه على ماعرفناه منذ اثنتي عشرة سنة في دمشق لم يبدل ادنى شيء في مبدأه ومشربه . وأما دار « الهلال » فلم تعد داراً لمجلة الهلال وحدها كما تركها المؤرخ الشهير الذي خدم قراء العربية أجل خدمة المرحوم جرجي زيدان صاحب تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ العرب قبل الاسلام وروايات زيدان التاريخية الخ بل قام ابناؤه الأفذاذ من بعده بعمل كبير فأصدروا مجلات « المصور » و« كل شيء » و « الحياة المصورة » و « الفكاهة » بالعربية ولبزيماج (Les images) بالفرنسية حتى صرنا نجد في تلك المجلات رسوماً جميلة للحوادث السياسية والاجتماعية وللكائنات الغريبة مما لا عهد لقراء العربية به من قبل . وقد فقدت الهلال بعد مؤسسها مادتها التاريخية لكنها اعتاضت بها مقالات أدبية لعدد من ادباء اليوم كما ازدادت رونقاً وبهاء بما ذكرنا فصارت مجلة طبقة من الشعب اكثر عدداً من التي كانت تقرأوها فيما مضى

ذلك انه اذا شدا المرء شيئاً من مبادئ العلوم في مدارس التجهيز ودور المعلمين والمدارس الأهلية والأجنبية لذت له قراءة مجلات دار الهلال واستفاد مما فيها من معلومات ومتع نظره بصورها وتفكه بما حوته من نكات مستملحة واحاديث لذيذة . أما اذا حملته على قراءة المقتطف بما فيها من مواد علمية جافة فسرعان ما يمل منها لأن تلك المجلة ليست لمثله بل هي لمن زادت معارفهم على معارفه . ولما كان عدد خريجي مدارس التجهيز وخريجي المدارس العالية محدوداً اذا قيس بسواد المتعلمين كان قراء مجلات دار الهلال اكبر عدداً من قراء المقتطف . وانت ترى ان كلاً من مجموعة دار الهلال ومجلة المقتطف ضرورية لقرائها .

ومن الشاميين الأماجد الأستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة «الشورى» المعروفة ببلائها في سبيل القضية العربية . ومن الأدباء الذين يعمل واحدهم عمل الجماعة صديقنا الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلتي «الزهراء» و «الفتح» الذي صحح وطبع «ادب الكاتب» لابن قتيبة و «البيان والتبيين» للجاحظ و «خزانة الأدب» للبغدادي . وقد بدأ اخيراً بمعجم لسان العرب فطبع جزءه الأول وهو مثابر على تنقيح اجزائه السائرة وطبعها . وله على الاشتغال باللغة وآدابها همة لا تحاكيها الا همة الجبابرة .

ومنهم شاعر دمشق الاكبر خير الدين الزركلي صاحب ناموس الأعلام في تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وهو سفر ثمين في ثلاثة اجزاء . ومن الغريب ان عيني لم تكد تقع على عينه حتى تذكرت قصيدته التي يحن بها الى الشام حنين الثكلى الموجع الى فقيدها تلك القصيدة التي بكيت عند ما تلوتها منذ بضع سنوات ومطلعها :

العين بعد فراقها الوطنا   لا ساكناً ألفت ولا سكنا

وهو يختمها بقوله :

ان الغريب معذب ابداً   ان حل لم ينعم وان ظعنا
لو مثلوا لي موطني وثناً   لهممت أعبد ذلك الوثنا

رده الله الى دمشق ليسمعنا صداحه الفتان في بردى والربوة والنيربين ودمر وجبرون والغوطة فكلها له مشتاقة .

ومن الذين لهم شخصيتان بارزتان الأولى علمية والثانية سياسية العلامة الدكتور شهبندر فقد ألفيت جميع العلماء المصريين والشاميين يحترمون فيه غزارة المادة العلمية ولا اظن احداً غيره جمع هاتين الشخصيتين بجلى بعها الا العلامة الأمير شكيب ارسلان وهو الذي لا يضاهيه احد بين كتاب العربية بكثرة منتوجات قلمه ، حتى ان الانسان ليحار كيف يجد الأمير متسعاً من الوقت لكل ما يخطه اناملة ، ويسيل به دماغه على القراطيس .

اما الآنسة التي اختارت لنفسها اسم «مي» (ولله ما اعذبه اسماً) فهي كبيرة أديبات العربية في يومنا هذا بلا منازع . زرتهـا مع صديقي العلامة امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان بعدان تلطفت واجتمعت بي مع رهط من العلماء والادباء في فندق «كونتنتال» فاذا بي في دارها كأني في هيكل الأدب الأسمى وقدس النبوغ والعبقرية . واذا باحاديثها تنم على أدق ماتلمسه مشاعر الانسان وقد خيل لي انني في حضرة احدى سيدات الملأ الاعلى اللواتي كنت أقرأ عنهن في كتب كبار الأدباء الفرنسيين . وماكدنا نودعها ونخرج حتى ابتدرني الصديق الأمين قائلاً : «انها مخيفة» فقلت صدقت ياباشا وماذا أخافك منها قال حدة ذكائها ووفرة معلوماتها الأدبية ، قلت اما انا فلفرط احساسها لدقائق الحديث حتى كدت أرى نفسي غير قادر على مجاراتها فيه .

ومن الكتاب الشاميين الذين يكتبون في الصحف المصرية الاستاذ سامي السراج والاستاذ توفيق اليازجي وهما من فحول الكتاب الصحفيين ولهم في الجرائد المصرية تأثير أي تأثير ومنهم الكاتب نجيب شاهين والكاتب حنا خباز وكلاهما مجيد وقد اشتهر الدكتور شخاشيري بما يكتبه في المقتطف من الفصول الطبية الطلية . كما اشتهر الاستاذ نسيم صيبعة بمقالاته السياسية والاقتصادية عن الشام . ولم أر من يعالج قضية البلاد بمثل قلمه وخبرته وحفظه للوقائع والحوادث .

وهناك ترى خليل مطران شاعر القطرين بل شاعر الحياة والحقيقة والخيال معاً الذي قال فيه أخي الشهيد عارف الشهابي في تذكرته منذ ٢٤ سنة «نعم ان شعره شعر المستقبل الذي ستزدهر فيه آداب اللغة العربية . ولقد كسر الشاعر قيود التكلف وهدم صروح التقليد واندفع بعامل الشعور والاحساس فهتف بماهتف وكان هتافه شعراً . ولولم يكن من فضائل ديوان الخليل سوى خلوه من المهجو والمديح (عدا قصيدة أو قصيدتين) لكفى» انتهى .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه صورة صغيرة للصحافة الشامية في مصر لمن حظينا بمشاهدتهم من ارباب الاقلام الشاميين فيها . ولكثير ممن لم نسعد بالتعرف بهم فضل كبير كالعلامة الجليل صاحب المنار والاستاذ اسكندر مكاريوس صاحب اللطائف المصورة وهي منتشرة في الشام والأستاذ المعروف اسعد خليل داغر والكاتب الفذ نقولا الحداد والاستاذ يوسف اليان سركيس صاحب معجم المطبوعات العربية والمصرية وغيرهم . اما الصحافة المصرية فهيهات ان تتمكن في ايامنا المعدودة من ابداء رأي فيها وفي رجالها الافذاذ . وكيف وقد صار لدى اخواننا المصريين جرائد ومجلات لاتقل قيمتها عن قيمة امثالها في الغرب وذلك بغزارة مادتها وتنوع حوادثها واخصاء كتابها بمختلف الموضوعات ووفرة النسخ التي تطبعها، مثالها جريدة السياسة والسياسة الاسبوعية والبلاغ والبلاغ الاسبوعي والجهاد والفلاح والضياء والكوكب وغيرها وهي كثر . وصار يكتب فيها ادباء وكتاب ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم امثال العقاد والمازني وهيكل وعوض وذياب ولطفي جمعة وعبدالرازق ومنصور فهمي وعنان وغيرهم . وقد كنت اتمنى ان اجتمع خاصة بالعقاد الشاعر الرقيق والأديب الكبير والوطني الصادق الوطنية فاذكره بقوله :

يا نديم الخلوات اقبل الليل فهات

فاذا به في خلوة ما كان ليرقبها ولا لتمناها له احد في العالم العربي . واذا به سجين في قضية سياسية وكأني به في محبسه يردد قوله :

ايه يادهر هات ماشئت وانظر عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت في بلائك الا هان بالصبر منه ما لا يهون

ولقد ذكر في سجنه بابياته البديعة في هذا الكون الأحمق :

ياشمس ما ضرك لو لم تشرقي ياروض ماضرك لو لم تعبق
ياقلب ماضرك لو لم تخفق سيان في هذا الوجود الأحمق
من كان مخلوقاً ومن لم يخلق

وهل يجوز ان نعود الى الشام قبل ان نزور الجامعة المصرية ونشاهد أبنيتها وحدائقها الجميلة في الجيزة وهنالك يلقانا من اساتذتها المعلمان الشهيران احمد امين وعبدالوهاب عزام ويجمعنا في اليوم الثاني برهط من الرجال الافاضل الذين تتألف منهم لجنة التأليف والترجمة

والنشر فاذا بكل منهم عالم أخصائي في فرع من العلوم واذا بهم يبسطون لنا على منصة كبيرة نحو اربعين كتاباً عربياً ألفوها أوصححوها وطبعوها طبعاً غاية في الدقة والنفاسة ٠

وكيف نغادر القطر قبل ان نجتمع ببعض العلماء المصريين الذين تربطنا بهم رابطة العمل في موضوعات متقاربة والفضل في تعريفنا بهم يعود للصديقين الكريمين امين باشا المعلوف والدكتور عبد الرحمن شهبندر فقد مهدا لنا السبيل لرؤية العلامة المحقق الدكتور احمد عيسى صاحب معجم اسماء النبات وكتاب التهذيب في أصول التعريب وكتب ورسالات شتى في ابحاث طبية خاصة ٠ والعالم المجد الذي يناقرني من حين الى آخر وأناقره الدكتور محمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية وهو أول معجم كبير في بابه يستحق المؤلف على ابرازه للعالم العربي كل ثناء ٠ والدكتور الأديب الدمث الأخلاق احمد زكي ابوشادي الذي نقرأ اشعاره وابحاثه في ديوانه وفي المقتطف والذي اجاد في ترجمة «العاصفة» خاصة وهو من غواة احد فنوننا الزراعية اي تربية النحل وله فيه كتاب ومجلة وله اليه دعوة ونداء ٠ والشيخ الجليل العلامة احمد زكي باشا صاحب دار العروبة (وحق على كل عربي يدخل مصر ان يزورها) الذي له على اللغة العربية وآدابها اكرم يد بما جمع ورمم من شتيت مخطوطاتها وصحح وطبع من غالي دررها القديمة ٠ وهو ما فتئ منذ عشرات من السنين يناضل عنها وعن ابنائها بقلم العالم الناصح ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وممن اجتمعنا بهم المحامي القدير والقانوني الكبير محمد علي باشا وزير الاوقاف السابق الذي له على العالم العربي يد المدافع عن العراق مدافعة البطل الغيور وله الرأي الصائب في ايجاد معلمة (موسوعة) يتوفر عليها علماء الشرق العربي كافة ٠ ومنهم الأديب المعروف السيد علي عبد الرازق صاحب كتاب « الاسلام وأصول الحكم » وهو الكتاب الذي ترك في العالم الاسلامي دوياً لأن صاحبه توخى فيه اثبات أن لاخلافة في الدين الاسلامي ٠ ومنهم الأديب العراقي الكبير الشيخ كاظم الدجيلي وكذا الدكتور احمد قدري قنصل العراق العام في مصر وكان رفيقنا في باريز ايام الدراسة وكنا نسميه قنصل العرب لما كان له من العطف على جميع التلامذة العرب ٠ ومنهم طلعت باشا حرب مدير بنك مصر ومؤسس نهضة مصر الاقتصادية وهو الرجل الكبير الذي قرن العلم الى العمل فأوجد للمصريين قوة كبيرة من المال المشترك كان الأجانب يمصون ثروة البلاد بمثلها ٠ واذا شئت ان تعلم

مبلغ ثقة المصريين بهذا المصرف وبطله الذي صار بعد من رجال التاريخ الحاضر فسله عن مقدار الأمانات اي الودائع التي سلمه الأهلون اياها ينبئك انها كانت دون الثمانين من آلاف الجنيهات في السنة الأولى من تأسيس المصرف اما اليوم فانها بلغت تسعة ملايين من تلك الجنيهات وهو مبلغ كبير ٠ وقد تمكن المصرف من تأسيس شركات وطنية مهمة لحلج الأقطان والغزل والنسج والنقل والملاحة وصيد الأسماك والطباعة وغيرها وأسس فروعاً له في انحاء القطر المصري وفي بيروت ودمشق ، وبنى داراً بديعة للتمثيل العربي في حديقة الأزبكية ، كما بنى لنفسه بناء في شارع عماد الدين جاء آية من آيات الفن ٠ واذا شئت ان تعرف كيف توصف القصور وزخارفها فاقرأ وصف هذا البناء الرائع بقلم الاديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري في عدد ٦ حزيران « يونيو » سنة ١٩٢٧ من جريدة السياسة الغراء ٠

وحق علينا ونحن ما برحنا منذ عشرين سنة نعالج الشؤون الزراعية والاقتصادية ان لا نعود الى دمشق قبل ان نزور المعرض الزراعي الصناعي الذي أقيم في السنة الحاضرة في أرض الجمعية الزراعية الملكية في الجزيرة وقبل ان نلقي نظرة على مدرسة الزراعة العليا في الجيزة وعلى مؤسسات وزارة الزراعة المهمة ٠ ولقد يمت لبلوغ هذه الغاية معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاذا استقباله لي يدل على وفرة أدبه وشدة عطفه واذا به ممن زاروا الشام في الأيام الخالية ، ومن النادر ان يزورها مصري كريم دون ان تترك في نفسه اثراً جميلاً ٠

وتقدم الوزير المشار اليه الى السيد حلمي احد مفتشي الوزارة بان يكون دليلنا غير مكره فكان مثالاً للرجل الوديع من جهة وللمهندس الزراعي الخبير ببلاده من جهة ثانية فاما المعرض الزراعي الصناعي فقد تجلت فيه جهود المصريين حكومة وشعباً في سبيل الانتاج الزراعي والصناعي فكان اجمل صورة لذلك الشعب الشيخ الفتى والنائم المستيقظ فهنالك اجود مجموعة للأقطان في دار الجمعية الملكية الزراعية ، وهنالك مصنوعات ادارة السجون من مفروشات ومناشف ومنسوجات حريرية وصابون وسجاد واحذية وكراسي وجوامع الخ كلها متقنة الصنع ، ومصنوعات المدارس الصناعية في انحاء القطر من نسج حريرية وآلات زراعية وأثاث ورياش ، ومنتوجات المدارس الزراعية ومعروضات أقسام وزارة

الزراعة كقسم الحشرات وقسم النباتات وقسم الأقطان وقسم البساتين وغيرها . وهنالك اجود محاصيل القطر الزراعية على انواعها من حبوب وفواكه وخضر ونباتات صناعية وهنالك ايضاً مصنوعات الشركات التي أسسها بنك مصر والغرف المختصة بمديرية الصحة والاسعاف وهي جديرة بأن تسمى مدرسة لحفظ الصحة . واذا اضفنا الى ذلك معروضات معامل الجلود والتبغ والصناعات الصغيرة المختلفة نكون قد اوجزنا في كلمتين ما احتجنا في زيارته الى اربعة ايام وما نحتاج في درسه الى شهر على الأقل وليس الخبر كالمعاينة .

ومما لا شك فيه ان اخواننا المصريين لم يلحقوا الشاميين بالصناعات الوطنية الحديثة وليس لديهم اليوم امثال ما لدينا من معامل الدباغة والجوخ و « الكريب » وسائر النسج الحريرية و « التريكو » والجوارب وقمصان الكتان وسراويله وانواع الحلويات وعود الكبريت والسمنت وغيرها مما لا أثر فيه لرؤوس المال الأجنبية لكنه ليس ثمة ما يمنعهم من اللحاق بنا ومن تخطينا بمراحل ولا شك ان السبّاق في هذا المضمار سيكون بنك مصر بمعامله . ومن البديهي ان مصر كالشام لا يمكن ان يكون فيها صناعات كبيرة لخلوها من الفحم الحجري والحديد لكن في وسعها ان تنسج كل ما يلزم لسكانها من الألبسة القديمة والحديثة وان تصنع كل ما قلنا انه يصنع اليوم في الشام فتستغني عن دفع ملايين من الجنيهات سنوياً الى البلاد الأجنبية .

وأما مدرسة الجيزة الزراعية العليا فهي لا تقل بمخابرها ومعداتها ووسائل التعليم فيها عما خبرناه في المدارس الأوربية الشبيهة بها . ومن بواعث السرور ان جميع الدروس تلقى فيها باللغة العربية دون غيرها . وكذا في مدارس الزراعة المتوسطة الرائعة في مشتهر والمنيا ودمنهور وفي مدارس التجهيز كافة . وقد اخذت العربية تحل محل الانكليزية والفرنسية في سائر المدارس العليا كالطب والحقوق والهندسة وغيرها .

***

وبعد هذه صورة جد صغيرة لما شاهدته في رحلتي القصيرة الى القاهرة . ونحن اذا رحنا نلخصها في بضعة اسطر حملنا على النتيجة الآتية وهي ان تلك المدينة الرائعة اصبحت اليوم رأس مدن الشرق العربي بعمرانها وبروعة آثارها الشرقية وان فيها نهضة علمية تتجلى في جماعة المجمع المصري للثقافة العلمية وفي عديد من الأخصائيين بمختلف العلوم ، ونهضة

أدبية واسعة النطاق تسطع في جماعة دار الكتب المصرية ورجال لجنة التأليف والترجمة ونوابغ الشعراء وفحول الادباء من أساتذة ومؤلفين ، ونهضة وطنية وسياسية لم نتعرض لها ولكنكم تلمسونها كل يوم فيما تقرأونه في الصحف المصرية ، ونهضة صحافية كبيرة لا عهد لمصر بمثلها من قبل وهي قائمة بجهود عدد لا يستهان به من حملة الأقلام المصريين والشاميين ، ونهضة مالية واقتصادية لها في حياة القطر المصري الشأن الاكبر ومبعثها بنك مصر خاصة . فاذا اضفتم الى ذلك ان القاهرة عاصمة بلاد غنية يبلغ عدد سكانها ١٥ مليوناً من الناطقين بالضاد ادركتم الأسباب التي تجعل مصر زعيمة الشرق العربي بلا منازع .

مصطفى الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثنا عشر كوكبا

- ٢ -

(الحالة السياسية في زمن الباعونية)

قبل ان نصف أسفار الباعونية الى مصر ثم الى حلب ثم موتها نذكر مجملاً من الحالة السياسية في بلاد الشام ومصر إذ ربما كان لسفراتها علاقة بهذه الحال كما يأتي :

كان المُلك في مصر والشام (لصلاح الدين) الايوبي واولاده واولاد اخيه الملك (العادل) الذي نحن الآن في مدرسته (العادلية) ونلقي هذه المحاضرة بجانب ضريحه . وتسمى دولتهم (الدولة الايوبية) . ثم قام بالمُلك بعدهم مماليكهم الشراكسة واشهرهم الملك (الظاهر بيبرس) المدفون في المدرسة الظاهرية امام العادلية حيث دار الكتب العربية . ومنهم الملك (المنصور قلاوون) وابنه (الاشرف خليل) و (الظاهر برقوق) الذي بنى جسر الشريعة .

ومنهم الملك (قانصوه الغوري) وهو آخرهم . وقد استقام الملك في بني ايوب ومماليكهم الشراكسة نحو اربعة قرون : القرن السادس للهجرة والسابع والثامن والتاسع ولم يستهل القرن العاشر حتى كانت دولتهم قد هرمت وتطرق اليها الخلل والفساد وعلى العكس الدولة التركية العثمانية التي كانت تتكون يومئذ في بلاد الاناضول وتشتد وتتسع رقعة مملكتها بالتدريج .

وكان السلطان سليم العثماني معاصراً لآخر ملوك الجراكسة (قانصوه الغوري) . وفي زمن هذين السلطانين كانت عائشة الباعونية حية وقدملأ ذكر علمها وفضلها مصر والشام .

حارب السلطان سليم ملكَ العجم (اسماعيل شاه) وكاد يتغلب عليه ويستولي على بلاده لولا ان (قانصوه الغوري) سلطان مصر كان يساعد ملك العجم ويمده سراً . فشعر

السلطان سليم بذلك وعلم أن الاستيلاء على بلاد العجم لا يتيسر له مالم يستول على مملكة (قانصوه الغوري) التي تعترض طريقه الى بلاد العجم فرجع الى الاستانة وجهز جيشاً عرمرماً زحف به على بلاد الشام حيث يترصده عدوه الألد قانصوه الغوري وجرت بينهما معركة (مرج دابق) بقرب حلب فوقع قانصوه الغوري تحت سنابك الخيل قتيلاً . وتمزقت عساكره شذر مذر واستولى السلطان سليم على بلاد الشام ومصر من يومئذ . وذلك سنة (٩٢٢) وهي السنة التي ماتت فيها عائشة الباعونية .

(أسفار الباعونية ووفاتها)

«وهل لوفاتها علاقة بالحالة السياسية المذكورة»

مر معنا ان (الباعونية) ارسلها أهلوها في صباها الى مصر والشام لطلب العلم فنبغت هناك . وهذه اول سفرة من سفراتها وبعدها عادت فاستقرت في وطنها دمشق الشام .

وفي سنة (٩١٩) (اي قبل وفاتها بثلاث سنين) سافرت الى القاهرة . وفي الطريق أصيبت بمؤلفاتها وقصائدها التي كانت تحملها معها . ولا نعلم كيف أصيبت بها : فاما ان يكون أصابها مطر أتلفها . أو أغارت على القافلة عصابة من اللصوص فكانت كتب الباعونية في جملة مانهبوا وسلبوا . لكن لما ذا سافرت الباعونية الى مصر في وقت تكاد تشب نار الحرب بين السلطان سليم وبين قانصوه الغوري ؟ ؟

يفهم من كلام المؤرخ (الغزي) انها ذهبت الى مصر «لقضاء مأرب لها يتعلق بولدها» . وما هو هذا المأرب ياترى ؟؟

ليس امامنا سوى طريق التكهن في معرفة هذا المأرب : فاما أن ولدها كان تاجراً وله مشاكل مع عملائه في مصر فذهبت معه اليها لتساعده بجاهها عند ولاة الأمور . أو هو موظف في الحكومة وقد نسبوا اليه قصوراً أو تقصيراً فذهبت به لتثبت أهليته . أو تبرأ ساحته .

وما يدرينا ان يكون ابنها قد كلف الخدمة العسكرية فذهبت الى (قانصوه الغوري) ملك مصر تطلب منه ان يعفي ابن الشيخة من هذه الخدمة الشاقة التي لايحسنها وقد يتعرض الى الهلاك بسببها وهي في حاجة اليه يخدمها . ويكفيها مؤونة العمل خارج بيتها ؟ كل ذلك مما يدخل تحت الامكان .

وكان مصاحباً لها في سفرها الى مصر (ابو الثناء محمود الحلبي رئيس ديوان الانشاء

في الحكومة المصرية) فلما وصلوا جميعاً الى القاهرة أنزلها ابوالثناء في داره · واكرمها واكرم ولدها · وكانت هي من قبل مدحته بقصيدة مطلعها :

(روى البحر اخبار العطا عن ندا كمو ونشر الصبا عن مستطاب ثنا كمو)

ثم ان (ابا الثناء) قدمها الى شيخ الادب والادباء في الديار المصرية وهو (السيد الشريف عبدالرحيم العباسي) وعرفه بها فأعجب بها السيد المذكور وبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه فاجابته بقصيدة مطلعها :

(وافت تترجم عن حبر هو البحر بديعة زانها مع حسنها الخفر)

ثم ارسل اليها ابو الثناء قصيدة أخرى قال في مطلعها :

(ليهنك مجد طارف وتليد يخصك آباء به وجدود)

الى ان يقول مخاطباً لها :

(فياروضة العلم التي بان فضلها وليس من الفضل السري مديد)
(فمنثور ما تبديه قد ضاع نشره ومنظومه فوق النحور عقود)
(وورق المعاني فوق دوح بيانها له ببديع السجع فيه نشيد)
(اذا ماتغنى مطرباً عندليبها تميل قلوب لذة وتميد)

فأجابته الباعونية تقول :

(تساميت مرمى للحاق بعيد وحسبك ما ابدعت فهو شهيد)
(حصلت على الغايات مجداً وسؤدداً وفضلاً مبيناً ليس فيه جحود)
(وأصبحت في روض العلوم مفكها تجول وتجني ما تشا وتبيد)
(وكم بوجيز اللفظ أشرعت منهلاً يطيب به للظامئين ورود)
(موارد آداب صفا سلسبيلها وحام عليها مهتد ورشيد)

ثم رجعت الباعونية من مصر الى دمشق الشام وبقيت الى سنة (٩٢٢) ·

في هذه السنة نشبت معركة (مرج دابق) بين السلطان سليم وقانصوه الغوري كما ذكرنا وقد سافرت الباعونية الى حلب في تلك السنة ·

قال المؤرخ (ابن الحنبلي) : « جاءت الباعونية الى حلب سنة (٩٢٢) وكان في حلب يومئذ (السلطان الغوري) وكان لها عنده مصلحة تريد قضاءها · فاجتمع بها من وراء حجاب

كلٌ من (البدر السيوفي) وتلميذه (الشمس السفيري) وغيرهما. ثم عادت الى دمشق وتوفيت في السنة المذكورة » . انتهى ماقاله المؤرخ ابن الحنبلي . ولم نجد طريقاً الى حل الطلاسم عن سفرتها الى حلب في هذا الوقت العصيب سوى طريق التكهن ايضاً فنقول :

اجتمعت الباعونية وهي في حلب مع (البدر السيوفي) وغيره من الأعيان وكأنها كلمتهم في المصلحة التي قال عنها ابن الحنبلي : إنها انما جاءت الى حلب من أجل قضائها .

وما هي هذه المصلحة ياترى في وقت ينتظر فيه السلطان الغوري قدوم عدوه السلطان سليم ؟ ثم جاء سليم وحارب الغوري وقتله كما مر ؟ ربما كانت مصلحة الباعونية في هذه السفرة الى حلب تتعلق بولدها ايضاً ؟؟.

لعل الآباء والأمهات كانوا في ذلك الوقت — وقت اشتباك الحرب في وجل شديد على اولادهم . وفلذات اكبادهم . كما خافوا عليهم في عصرنا الحاضر أي منذ بضع سنين حينما كانت الحرب ناشبة بين الترك ودول الحلفاء . وكان جمال باشا يمسك الشبان فيجندهم بالقهر .

فكم آباء وأمهات ماتوا حسرة على اولادهم بهذا السبب . فهل يا ترى وقع شيء من هذا القبيل للباعونية ؟ فان المؤرخ (الغزي) قال انها رجعت من حلب الى دمشق وتوفيت وذلك في نفس السنة التي قتل فيها الغوري في مرج دابق . أعني سنة (٩٢٢) . هكذا قالوا عن وفاة الباعونية لكنهم لم يذكروا لنا سنة ولادتها . لنعلم كم عاشت من العمر .

(اين قبر الباعونية)

ماتت الباعونية في بلدها دمشق . وذلك منذ اربعمائة سنة : فاين قبرها يا ترى .

الفصل ربيع . والهواء عليل . والتربة برّاقة . وجداول الماء خرارة . والأشجار مزينة بالأزهار . والأغصان ترقص على غناء الأطيار . ونزهة الصباح تنفي عن النفس الهموم والاكدار . نذهب الى النزهة في ضواحي دمشق ميممين الجسر الأبيض ومن هناك نسلك طريق الشيخ محيي الدين الجديد مشياً على الأقدام . نصل الى نصف الطريق . نجد على يميننا زقاقاً الى البساتين . نسلك هذا الزقاق ويسمى (زقاق طاحونة الأحمر). نمر بالطاحونة المذكورة عن يميننا . ثم بساقية ماء عن شمالنا . ثم نقف أمام باب بستان . فيقال لنا أن اسمه (بستان الباعونية) واصحابه بيت الشلبي . فتخطر ببالنا الحال شيختنا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(الباعونية) التي قرأنا تاريخها وسمعنا اخبارها فنقول في انفسنا : يا ترى هل سمي هذا البستان بستان (الباعونية) نسبة الى شيختنا المذكورة ؟ ؟

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان فنصل الى عمـارة قديمة كالمدرسة الصغيرة مبنية بالحجر المنحوت وطول واجهتها نحو ١٢ ذراعاً ولها ثلاث نوافذ مسدودة بالحجر · وقد كتبت على واجهتها بحروف خط واضح جميل هذه العبارة ؟

(هذا مقام حضرة السيدة الباعونية رضي الله عنها) · فلا يبقى عندنا شك أن في هذا البناء قبر (شيختنا الباعونية) إذ أيَّة باعونية غيرها لها مثل شهرتها في دمشق ·

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان المتصل بالمدرسة فنجد في اسفل الدك حجارة منحوتة وآثار بنـاء · وطول هذا السياج نحو اربعين ذراعاً ولا نزال نمشي حتى نصل الى طرفه أو زاويته · فنجد أثراً يلفت النظر ويستدعي الانتباه هذا الأثر هو بقية عضادة كعضادة البوابة الكبيرة مركبة من ثلاثة احجار ضخمة وهي في ضخامتها ولونهـا تشبه احجار هذه المدرسة العادلية · فمن يرها يقل انها بقية بوابة بناء كان مشيداً هناك بجانب قبر الباعونية ·

شيء آخر أهم : قد طُرح على الأرض بجانب العضادة حجر آخر كبير طوله ذراعان وعرضه ذراع عليه كتابة بحروف نافرة محوتة في الحجر · وهي واضحة تمام الوضوح ومقروءة كلها سوى بعض كلمات · ويظهر من نقص الكلام أن الحجر كان طويلاً فكسر من جهة رأسه نحو ثلثه وبقي ثلثاه · والكتابة التي على طول الحجر تتركب من خمسة اسطر يقرأ الباقي منها بعد انكسار الحجر هكذا :

السطر (١) ······ رحمه ربه القدير نسل الدولة كافور الحر الحسامي ·

السطر (٢) ······ خانكاه على طائفة من الصوفية المجردين باسم سكنهم ·

السطر (٣) ······ المسلمين ومنه جميع المزرعة والكرم الذين بارض ·

السطر (٤) ······ فمن بدله بعد ما سمعه · فانما إثمه على الذين يبدلونه ·

السطر (٥) ······ من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ·

وخلاصة ما يفهم من هذه الكتابة أن كافور الحسامي بنى خانكاه (اي زاوية) باسم الصوفية لتكون مسكناً لهم وانه وقف عليها مزرعة وكرماً وذلك في شهر رجب سنة ٩٢٣ ي بعد وفاة عائشة الباعونية بسنة واحدة ·

ولكن لا يوجد في هذه الكتابة ذكر لعائشة الباعونية ، وانما تاريخها موافق فقط لتاريخ وفاة الباعونية ، فلعل احد اهل الخير شيد هذه الزاوية على قبرها وأسكنها الصوفية يقرأون القرآن ويذكرون الله ويهدون ثواب ذلك اليها ·

وبينا نحن واقفون هناك نسائل الديار ، ونستنطق الأحجار ، اذا جماعة من اهل الجوار الساكنين في تلك المحلة احدقوا بنا نساء ورجالاً وكان بينهم امرأة ذات إزار ونقاب فقالت لنا ان البستان المدفونة فيه (الباعونية) ملك بيت الشلبي وان امها هي من بيت الشلبي وقد عاشت امها نحو سبعين سنة · قالت وقد أخبرتني أمي انه كان يوجد في هذا البناء المشيد بجانب قبر الباعونية فرن وقف يخبزون فيه صفيحة وشعيبيات ويفرقونها على المارين من الفقراء والمساكين مجاناً من دون ثمن ثم أخبرنا بعض الرجال المسنين مؤكداً قول المرأة الشلبية وقال انه سمع خبر الصفيحة من رجل مسن وهو سمعه من رجل مسن آخر رأى الفرن بعيني رأسه ·

ولعل في هذا الخبر مبالغة وأن الفرن انما كان يخبز الصفيحة والشعيبيات في بعض أيام السنة (كأيام رمضان والمولد النبوي) لا في كل يوم من أيام السنة ·

http://archivebeta.Sakhrit.com

وبعد أن نشاهد القبر من واجهته البرانية نتوق أن ننظر اليه والى حالته الجوانية · فيقال لنا ان الدخول اليه يكون من باب بستان الشلبي · فنرجع الى البستان وندخل اليه من بابه ثم نمشي فيه بين زريعة البصل والفول والسلق حتى نبلغ البناء الذي فيه القبر · فننزل اليه نزولاً لأن ارض البستان أعلا من أرضه · فنرى في وسط المكان قبراً متناسب الشكل وهو من الحجر النحيت · وعلى طول القبر حجر واحد بشكل جمالون [1] واحجار القبر متزعزعة متخلخلة ولولا أن هذا الجمالون الضخم قد أمسكها وحفظها والا كانت سرقت كما سرقت الأحجار الأخرى · وليس على القبر ولا في الجدران كتابة أو نقوش وليس للبناء سقف · ويظهر انه كان له سقف بدليل وجود قنطرتين من حجر كانتا تحملان السقف وما زالتا قائمتين الى اليوم · ويزعم بعض بيت الشلبي أن اجداده بنوا السقف المرة بعد المرة لكنهم كانوا كلما بنوه يصبحون فيجدونه قد تهدم وتفرقت احجاره · يعني بأعجوبة

(١) الجمالون في اصطلاح الناس حجر مستطيل محدب على شكل سنام الجمل ولعله من هنا سمي جمالون أو جملون ·

سماوية · وتزور القبر معنا سيدة أفرنسية[1] فمذ ترى أنه لا سقف فوق قبر الباعونية وتسمع من ابن الشلبي أن اجداده كلما بنوه طار · وتعقّبت منه الآثار تسمع ذلك فتقول مازحة : يظهر إن السيدة الباعونية لا تريد أن يسترها عن ربها ستار · ولا يحول بينها وبين السماء سقفٌ ولا أحجار ·

هذا هو قبر (الباعونية) : نراه فلا نملك نفوسنا من رهبة الموت · وجلال الذكرى · نذكر المرأة التي اذا عدّ العلماء المؤلفون كانت واحداً منهم · واذا عدّ الشعراء المتأدبون كانت في طليعتهم · واذا ذُكر الزهاد المتنسكون كانت لها المنزلة العظمى بينهم ·

ان كانت الباعونية ماتت فان ذكرها لم يمت · وان غاب عنا جسمها · فلم يغب عنا فضلها وعلمها ·

ان كانت الشجرة يبست وتحطمت وأصبحت تراباً فإن أثمار الشجرة مازالت غضة طرية بعد مرور أربعمائة سنة عليها · وكم امرأة من النساء ذات جاه وعظمة ومال وجمال ماتت ونُسي ذكرها اما الباعونية فانها ما زالت حية الى اليوم بفضلها · وثمرات عقلها ·

اذكرن أيتها السيدات (عائشة الباعونية) · وزرن قبرها · وقصصن على بناتكن أخبارها · ورويّن لهن أشعارها · ثم لعلكن تأخذكن الغيرة عليها فترممن منارها · وتحفظن من السرقة أحجارها ·

ولعمري ايتها السيدات ! إن (الباعونية) تستحق منكن اكثر من هذه العناية : لأنها رفعت قدركن في الحياة · فأحيوا ذكرها ولا تضيعوا كرامتها بعد الممات[2] ·

المغربي

---

(١) هي مادام (مريم هري) الكاتبة القصصية المشهورة وقد أقامت في سورية وفلسطين وحوران اياماً ولها كتابات وروايات قصصية عن أهل هذه البلاد ·

(٢) بلغني أن طائفة من السيدات خرجن من ردهة المحاضرة وذهبن تواً الى قبر عائشة الباعونية لزيارتها وإهداء الفواتح الى روحها ·

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٧ -

ويجدر بنا بعد اجتياز حماة ان نصف ما في براريها الشرقية من الأماكن القديمة نخص بالذكر منها سلمية وقصر ابن وردان وخربة الأندرين .

فسلمية قرية كبيرة او بليدة في شرقي حماة الى الجنوب بينها طريق غير معبدة بعد، طولها ٣٢ كيلو متراً ويسير قاصدها بعد ان يخرج من حاضر حماة في نجد فيه تلعات متموجة وأودية احدها يدعى العميق تنحدر مياهها في الشتاء نحو العاصي وليس بينها ذو ينابيع واشجار قليلة سوى وادي عين القصارين ووادي الكفات . والسائر يرى على يمينه في غربي العاصي جبل تقسيس « علوه ٦٨٥ متراً » وفي سفحه في منخفض العاصي تتدنى قرى الجاجية وسريحين وجنان والجرنية وتقسيس وبينها أزوار تروى بالنواعير . ويرى على يساره سلسلة آكام وهضاب من اعضاد جبل العلا بينها وبين الطريق من الضياع الصغيرة التي يملكها سراة حماة ام جرن وصماخ ومباركات وغيرها . وتربة هذه الأرضين تميل الى الاصفرار والبياض كما ذهبت مشرقاً . ومن غريب امر آكام جبل العلا المؤلفة من الحرات السوداء ، الموحشة لتجردها عن الاشجار والأنجم بل كل اخضرار — أن امتدت في بعض منحدراتها وسفوحها الوعرة سلاسل من الأحجار من صنع الأقدمين مما يحمل على الظن بأنهم كانوا يملأون اجوافها بالغراس والكروم . ترى ، هل ضاقت هذه السهول الشاسعة في القرون الخالية بسكانها حتى اضطروا للتعلق باذيال الجبال وكيف كان يتم لهم ذلك وهذه البقاع الفقيرة بالامطار لا سبيل لنمو الغراس والكروم الاعذاء فيها ؟ هذا

وبعد ان يجتاز السائر قرية الكافات يشاهد عن بعد قلعة شميميس تطل من وراء الآكام المحيطة بها ثم بقرية تل الدرة واهل هاتين القريتين اسماعيلية وبضعة طواحين في جنوبها مرج القريم وبعين ماء كبيرة تدعى عين الزرقاء الى ان يدخل في سهل الفيح مترامي الأطراف جثمت فيه سلمية ·

وسلمية قاعدة قضاء من اعمال لواء حماة يقطنها زهاء ثمانية آلاف من الاسماعيلية بينهم عدد ضئيل من الغرباء السنيين هم موظفون أو باعة · وفي قضائها اربع نواح : معرشحور وكاسون وعقيربات وسلمية ، يتبع كلاً منها قرى وضياع عديدة تمتد شرقاً الى صفوح جبل البلعاس حيث ينتهي العمران وشمالاً الى ما بعد محطة كوكب على سكة حديد حماة — حلب ، يقطن أكثرها الاسماعيلية والنصيرية واقلها البدو والشركس · وهواء سلمية جاف جيد وتشتد فعل الرياح الغربية فيها لوقوعها في السهل فتثير العجاج وتحول دون نمو اثمار الاشجار ويستخرج ماؤها من الآبار وهو قريب الغور ووسط في عذوبته وقد يصل البرد في الشتاء الى درجة الصفر كما ان حر الصيف قد يبلغ الأربعين على ان جفاف الهواء يخفف وطأتها فلا يشعر بها كما في حماة وكمية الأمطار السنوية قليلة لا تنيف عن الاربعمائة مليمتر في معظم السنين · ولذا لاتخصب تربتها الرملية الكلسية الصفراء الا اذا جادها الغيث بكثرة ولا تنمو الزروع الصيفية وكذا الكروم في مستهل حياتها الا اذا رويت · وقد اشتهرت سلمية بسعة كرومها وبساتينها واراضيها الاعذاء واجل غلالها التي تصدرها الى بندري حمص وحماة على السواء الحنطة والشعير والقزح والبصل وصنف من العنب يدعى البياضي يتأخر نضجه حتى انتهاء الخريف · وقد نمت في السنين الأخيرة زراعة القطن المصري والاميركي واتسعت · وهي تصدر عدداً غير يسير من اطايب الخيول العربية · ويرجع الفضل في عمران سلمية الى القنى القديمة البيزنطية والعربية الممتدة فيها وفي ضواحيها كخبوط الشباك مما لا نظير له في بلاد الشام الا قليلاً في القصبة منبج ودوما والقطيفة · وهذه القنى من العجائب الشاهدة بمقدرة الأقدمين في نقر الصخر الصلد ورسوخهم في علم استنباط المياه وجرها · يحتفر اهل سلمية هذه القنى وقد برعوا في تتبع آثارها وفتح اسرابها وآبارها وسيلونها · ويوشك اذا دامت هذه العناية ان تصبح كورة سلمية غوطة مصغرة وبعود

اليها محدها الفابر الذي ذكره جغرافيو العرب ونعتوه بكثرة المياه والشجر ووفرة الخصب والرخاء ٠

قال اليعقوبي من رجال القرن الثالث في كتاب البلدان : وسلمية وهي مدينة في البرية وكان عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابتناها واجرى اليها انهراً واستنبط ارضها حتى زرع فيها الزعفران واهلها من ولد عبدالله بن صالح الهاشمي ومواليهم واخلاط من الناس تجار وزراعين ٠ وقال ياقوت : سلمية بليدة في ناحية البرية من اعمال حماة بينهما مسيرة يومين (كذا) وكانت تعد من اعمال حمص، اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلاً وبنى هو وولده فيها الأبنية ونزلوها وبها المحاريب السبعة (!) يقال تحتها قبور التابعين ، وفي طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشير وينسب اليها بعض اهل العلم اه ٠ وكان يرجى من ابي الفداء — وسلمية كانت على مقربة من عاصمته — ان يصفها بتفصيل ولكنه رحمه الله اكتفى بقوله : سلمية من اعمال حمص ، بلدة نزهة ومياهها قنى ولها بساتين كثيرة ؛ قال ابن حوقل وسلمية الغالب على سكانها بنو هاشم وهي على طرف البادية خصبة ؛ قال في العزيزي ومدينة سلمية على صفة البرية كثيرة المياه والشجر رخية خصبة اه ٠

واسم سلمية قديماً (Salamias) — وان لم نعثر على تاريخها في العصور القديمة — الا انها كانت ولاسيما في عهد الروم البيزنطيين عامرةً بدليل العثور على كثير من الآثار والعاديات فيها وضواحيها ينبشها الاهلون من المباني والمدافن القديمة ويبيعونها من غواتها بأثمان جيدة ٠ وتاريخها في عهد المسلمين غامض لم يذكره المؤرخون الا الفينة بعد الفينة وعرضاً ٠ والمفهوم من أقوال الجغرافيين التي نقلناها ان سلمية خربت عقيب الفتح الاسلامي لوقوعها في طرف البادية والا فما معنى قولهم « ابتناها عبد الله بن صالح وأجرى اليها أنهراً » وقولهم « وبنى هو وولده فيها الابنية ونزلوها » وما معنى وجود كثير من الأحجار والانقاض البيزنطية في تضاعيف مبانيها العربية القديمة ٠ واذا حسبنا ان هذه هي المرة الاولى التي خربت وعمرت فيها سلمية يثبت معنا ان عمرانها هذا دام وازدهر خلال ثلاثة قرون في عهد سكانها بني عبد الله بن صالح الهاشمي الذين ذكرهم الجغرافيون ٠ واول

ماورد اسمها في التواريخ كان في حديث المعركة التي نشبت في مرج الأخرم الذي صار اسمه في يومنا مرج القريم غربي سلمية بين عبد الله بن علي العباسي اول قائد وعامل عباسي في الشام وزياد بن عبد الله الأموي قائد جيش قنسرين الذي انتقض على العباسيين وكانت الدائرة على زياد فثبتت أقدام العباسيين وقضى على آمال الأمويين في الشام . ويظهر ان بني هاشم الذين أخفقوا مراراً في الوصول الى كرسي الخلافة في عهد الأمويين ثم العباسيين ظلوا في موطنهم سلمية يحاولون ويبثون دعايتهم السياسية . وكان أخصهم في ذلك محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل . واسماعيل هذا هوالذي تعتقد الاسماعيلية ان الامامة انتقلت اليه من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان محمد الحبيب يرسل من سلمية الدعاة والمبشرين لمبدإه . وقد استعان اذ ذاك بعبدالله بن ميمون القداح وكان هذا من بقايا مجوس الفرس الساعين لهدم كيان العرب والاسلام تحت ستار الدعوة الاسماعيلية يشتغل بها في اصفهان والأهواز والبصرة فوافى سلمية ملبياً طلب محمد الحبيب وأقام فيها الى مماته مشتغلاً بالدعوة وذلك في منتصف القرن الثالث . ويظهر ابن القداح جر وراءه جمعاً من هؤلاء الدعاة فصارت سلمية من ذلك الحين مركزاً لهم ولشيعتهم . منهم ابو عبد الله الشهير بالشيعي نشأ في سلمية وذهب الى المغرب ووفق الى إزالة دولة الأغالبة ثم لحقه عبيد الله محمد وكان ممن نشأ في سلمية ايضاً تلقب بالمهدي وادعى انه من نسل فاطمة وتوصل الى تأسيس الدولة الفاطمية التي انتقلت بعد حين الى مصر ونازعت العباسيين الخلافة . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة ويظهر انهم كانوا حانقين على بني هاشم يتقصدون استئصالهم ففتكوا بهم وباهل سلمية كما فتكوا في حماة والمعرة . قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة : ثم سار القرمطي الى سلمية فمنعه أهلها ثم صالحهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فبدأ فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ثم قتل البهائم والصبيان بالمكاتب ثم خرج منها وليس بها عين تطرف وسار فيما حولها من القرى يسبي ويقتل ويخيف السبيل اه . ولم يذكر ابن الاثير ان كان القرمطي خرب سلمية أم اكتفى بتقتيل سكانها وإخلائها ولم يذكر متى وكيف عاد العمران والسكان . وهل كانت حينما جاءها سيف الدولة بن حمدان في سنة

٣٤٤ آهلة أم خالية . ففي تلك السنة جرت في المروج الممتدة شمالي سلمية بين سيف الدولة . وأعراب البادية من بني عامر بن صعصعة وعقيل وقشير والعجلان وقد كانوا ثاروا عليه فلحقهم الى تلك المروج وفتك بهم فامتدحه المتنبي بقصيدة جاء فيها :

فاقبلها المروج مسومات ضوامر لا هزال ولا شيار
تثير على سلمية مسبطراً تناكر تحته دون الشمار

وسكتت التواريخ عن بيان شيعة السكان الذين عمروا سلمية للمرة الثانية بعد حادثة القرامطة أكانوا من الاسماعيلية أم من غيرهم . لأنه لم يرد لهم ذكر مع ساكني قلاع الدعوة اتباع راشد الدين سنان وخلفائه الذين كانوا يجندون الفدائيين لاغتيال ملوك المسلمين وأمرائهم . وعادت التواريخ لذكرها في عهد الأيوبيين ابناء صلاح الدين . قيل ان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق جاء في سنة ٦١٩ لمحاصرة ابن اخته الملك الناصر قليج أرسلان صاحب حماه لاخلاف حدث بينهما في دفع مال مشروط عليه فنهبت جنوده اذ ذاك سلمية لانها من توابع حماه . ولما جاء الملك الكامل صاحب مصر في سنة ٦٢٦ ليخلع الملك الناصر ويجلس مكانه أخاه الملك المظفر حاصر حماه بعث بجيش سلم قيادته الى الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الذي سيرد ذكره في بحث حمص . ولما تم له ما أراد انتزع سلمية من المظفر وسلمها الى شيركوه فالحقت سلمية من ذلك الحين بحمص بعد ان كانت تابعة لحماه وظلت علة الشحناء بين أبناء الاعمام ملوك حمص وحماه لاسيما بعد أن عمر شيركوه في سنة ٦٢٧ قلعة شميميس وقطع ماء القناة التي كانت تجري من سلمية الى بساتين حماه . ولما جاء التتار بقيادة هولاكو في سنة ٦٥٨ وغازان في سنة ٦٩٩ نالوا من سلمية كغيرها من مدن الشام فانحط شأنها لكنها لم تخرب على ما يظهر بالكلية وبهجرها أهلها للمرة الثالثة الا في منتصف القرن الثامن في عهد المماليك حينما اختلت ادارتهم وازدادت فتن أعراب البادية ووثب بعضهم على بعض . قال في خطط الشام في حوادث سنة ٧٤٨ : « وفي هذه السنة اقتتل سيف الدين ابن فضل امير العرب وأتباعه مع احمد فياض من الأمراء في جمع عظيم قرب سلمية فانكسر سيف ونهبت أمواله وكانت هذه الحروب ضربة قاضية على بادية حماه فطفق البدو ينهبون القرى ويغيرون على حماه والمعرة ففر الفلاحون ودرست القرى اه .

وظل هذا الخراب مستمراً خمسة قرون يضرب البدو في ارجائها ويرعون انعامهم بين اطلالها لقاء اتاوات يؤدونها للحكومة العثمانية التي عدت سلمية وما حولها لواء اتبعته لحماه وحمص بايالة طرابلس الشام وما هو بلواء حقيقي . قال كاتب چلبي في جغرافيته «جهان نما» المطبوعة في الاستانة في سنة ١١٤٢ : ولواء سلمية هو في ايامنا في حوزة امراء عشيرة الموالي يأخذونه من آل عثمان اه . وظل اسماعيلية الجبال الغربية في تلك القرون يرنون نحو الشرق في لهفة وحسرة ويترقبون الفرصة ليعودوا ويعمروا سلمية احياء لمنشأ شيعتهم وتوسعاً في الأرضين وتخلصاً من مثل المذبحة التي ذاقوها من النصيرية في مصياف في سنة ١٨٠٧ م على ما ذكره بروكهارت سائح تلك الايام . ولما استتب الأمن والنظام في الجملة في العقد الأخير من القرن الماضي جاء نفر منهم الى سلمية قبيل سنة ١٢٨٠ او عقيبها واعتصموا بادئ ذي بدء في الحصن الذي هدم وبني مكانه دار الحكومة وشرعوا يزرعون حوله ويدرأون عن انفسهم عبث البادية ومازالوا يزدادون بانسلال ابناء جلدتهم من جهات مصياف والقدموس والخوابي وعكار ويفدون الى الشرق يعمرون القرى الخربة حتى كثر عددهم . ولما استقر امرهم جعلت الحكومة سلمية في غرة قرننا الحالي قاعدة ناحية دعتها (مجيد آباد) ثم جعلتها بعـد حين قاعدة قضاء دعي باسمها واتبعته بلواء حماه . وقد زاد عدد الاسماعيلية في السنين الأخيرة في سلمية وغيرها من القرى الآهلة بهم واخصها تل التوت وبري الشرقي والغربي ومنقر الشرقي والغربي وجدوعة وعقارب ونحو سبعين وذلك بانضمام ذويهم النازحين من مواطنهم في جبال النصيرية لأنهم وجدوا الرخاء والخصب في السهول الشرقيـة الواسعة والعزة التي نالها السلميون من السلطة الافرنسية لقاء تفانيهم في خدمتها خلال ثورة الشام في سنة ١٣٤٥ اه هي اكثر منها في قراهم الغربية الجبلية الضيقة .

ويفترق الاسماعيلية من حيث المذهب الى حماوية وسويدانية يعتقد الأولون بالوهية آغا خان الزعيم الهندي المعروف في نوادي انكلترة وفرنسا بيذخه وترفه ويؤدون له الزكاة والثانون لا يشاطرون اولئك ذلك الغلو . وكل سكان سلمية وقراها القدماء وسكان القرى المجاورة لقلعة الخوابي من الفريق الأول بينما القدموسيون والمصيافيون من الثاني . والنفور من جراء هذا التباين سائد بين النحلتين . ويفترق الاسماعيلية ايضاً بحسب الطبقات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى عامة وخاصة ، فمن خاصتهم المشايخ ذوو الزعامة الروحية بينهم من هو مولى بجباية اموال الزكاة وايصالها الى الهند . والأمراء ذوو الزعامة الزمنية ، وهذه الامارة مختصة بافراد قلائل يتوارثونها على انها ما يرحث مجهولة الارومة والسلسلة . ويغلب على الاسماعيلية طول القامة وعرض الهامة وصحة الجسم ويمتاز نبلاؤهم بزرقة العيون وشقرة الشعور والجمال في نسائهم غير يسير . وهم في الجملة ذوو حالات غريبة في تقيتهم وجفوتهم اهل السنة وقسوة عريكتهم وبينهم عصبية قوية ينقادون الى مشايخهم وأمرائهم ، ويتضامنون في الدفاع عند الطوارئ لذا ترى قراهم ومزارعهم في أمن من عيث البادية وجشع سراة الحضر . والجهل سائد في جميعهم وعدد متعلميهم قليل جداً أنشئت في السنين الأخيرة بمساعي بعضهم حركة اصلاح نحو الرجوع الى المبادئ الاسلامية لا يعلم مداها .

هذا وأكثر دور سلمية قباب مخروطية الشكل من اللبن والتراب كما هو الحال في القرى الممتدة شرقي حمص وحماه وحلب . على انها صارت تبدل بها من عهد قريب دور حجرية جلها من الطراز القروي البسيط لغلبة السذاجة على اصحابها .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حفلة تأبين

« حافظ بك ابراهيم »

أقام المجمع العلمي العربي يوم ٥ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ حفلة تأبين لحافظ ابراهيم بك شاعر النيل أحد أعضائه الراحلين تحت رعاية صاحب الدولة حقي بك العظم حضرها جمهور غفير من جميع الطبقات الرسمية والعلمية والشعبية فافتتح الحفلة الاستاذ الشيخ عبد الله المنجد شيخ قراء دمشق بآيات من الذكر الحكيم ، ثم وقف صاحب الدولة حقي بك العظم فألقى خطاباً ، وجاء بعده الاستاذ فارس بك الخوري أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم جاء الاستاذ محمد بك كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي فذكر حياة حافظ ، وجاء بعده الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم وقف الاستاذ شفيق بك جبري فألقى قصيدة ، وختم الحفلة سعادة محمد صبري بك قنصل المملكة المصرية جواباً على الخطباء ، واليكم صوراً مما قيل في تأبين فقيد اللغة والشعر رحمه الله .

ARCHIVE

***

﴿ خطاب صاحب الدولة حقي بك العظم ﴾
« رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية »

سادتي

ليس شاعر النيل حافظ ابراهيم بالرجل الذي يحتاج أن يعرف اليكم . أن لجميعة الآداب به عظيمة جداً على العرب والعربية . لأن أدبه من الأدب الذي يرفع مستوى اللغة والأخلاق والاجتماع . يستظهر الناس شعره ونثره ويتلى بإعجاب في الأندية والمجالس منذ نحو أربعين سنة .

اني اذا ذكرت حافظاً أذكر عظيماً من أكبر خدام لغتي الذين أعادوا اليها بهاءها بقرائحهم الوقادة وملكاتهم الواسعة . هو ممن أحيوا شعرنا فأحيوا شعورنا . وهل الشعر العالي الا الشعور العالي .

أذكر صديقاً باراً عاشرته وجاورته سنين طويلة . وما شهدته ، ويشهد الله في عامة أدوار حياته الا مولعاً بخدمة مصر بل بخدمة العربية وأدبهما القومي بل خدمة كل قطر يتكلم أهله العربية . ومن منا ينسى قوله من قصيدة تحت عنوان « الامتان تتصالحان » ألقاها في حفلة بمصر اذ قال :

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم　　فصافحوها تصافح نفسها العرب

فسبحان من أنزل الحكمة والبلاغة على لسانه وقلمه وسبحانه أن قضى بفراقنا . والموت مصير كل حي .

ولكن مثل حافظ ياسادتي لايموت لانه حي بشعره وأثره في الأرواح على وجه الدهر . تذكره الأجيال بعد الأجيال وينعم أهلها بمايقتبسون من عبقة كلامه . فهو زين الشعراء الخالدين . وما أقلهم حتى في عدة أعصار وأمصار .

حافظ بدل أسلوب الشعر العربي بديباجته البهيجة وسبكه الرائع وما تخلل قوله من الحكم والعبر والدعوة الى إصلاح النفوس والمجتمع . وما شعره الا الشعر الذي ينفع الأمم ويرقي عقول أفرادها وقل ان داناه فيه احد .

* * *

أحسن المجمع العلمي العربي باقامة هذه الحفلة لحافظ لأنه أبان عن عواطفنا نحن السوريين نحو شاعر النيل بل نحو مصر المحبوبة التي صرفت فيها شطراً من حياتي فأكرمت وفادتي في أشد أيام المحن • يوم كنت متطوعاً صغيراً في خدمة سورية ومقاتلة الظلم والاستبداد •

ان الروابط الكثيرة التي تربطنا معاشر أهل هذه الديار بمصر تدعونا الى ان نشعر بشعورها في كل حين • فاذا فقدت مصر رجلاً من رجالها عددناه هنا كأنه منا • واذا أصابتها سعادة فرحنا لسعادتها • وكذلك نحن يوم تحزن وتألم •

واني لأرجو لمصر ولرجال مصر حياة طيبة سعيدة لمكان الثقافة التي تدين بها الشعوب العربية بما لعلماء القطر الشقيق وأدبائه وشعرائه • وأسأله تعالى أن يخلق لمصر ولغير مصر عشرات من فقيدنا العزيز يدعون الناس الى مكارم الأخلاق • ويلطفون من شعورهم وعواطفهم ، ويصلحون من مجتمعهم وعاداتهم • يعملون على كل ما فيه نهضتهم على نحو مافعل ويفعل شعراء الغرب لعهدنا • فان الغربيين اليوم على نحو ما كان عليه أجدادنا في الدهر السالف اذا نبغ فيهم نابغة اغتبطوا وسعدوا بنبوغه ، واذا فقدوه عدّوا فقده خسارة دونها كل خسارة •

قال حافظ لاحد أصدقائه منذ سنين وفي هذه الجدار « اذا أنا متُّ لاتدمع عليّ عين احد لأني لاأخلف ورائي اماً ولا اباً ولا زوجاً ولا ولداً • فأجابه صديقه • انت اذا مت يا حافظ تبكي عليك عيون العرب كلها وكفى بهم أسرة كبيرة • وكذلك كان فانا لله وانا اليه راجعون •

وقال حافظ في آخر قصيدة له القاها في بيروت — وهو كما علم حبيب الشاميين عامة ولطالما نوه بهم وعطف عليهم في شعره الرائق •

وقد وقفت على الستين اسألها أسوفت ام أعدت حرّاً كفاني

وكان ان قدر الله فرحل عنا في الستين وبضعة اشهر رحمه الله عدد اياديه البيضاء على هذا الشرق العربي ولا حول ولا قوة الا بالله •

***

خطاب الأستاذ فارس بك الخوري

هذه هي المرة الثانية التي نجتمع بها في هذا المكان لتكريم هذا الرجل الخالد والعلم الشاهق بين اعلام الشعر والأدب العربي .

اعتاد الناس ان يحتفلوا بالغزاة والفاتحين ويقيموا لهم المواسم والاعياد تذكاراً لفتوحهم وتقديراً لما جلبوا لقومهم من المغانم والخيرات . وفي هذا العصر صارت ثروة الأمة الأدبية أعز عليها وأغلى لديها من الثروة المادية ، وأصبحت الاحتفالات لتكريم رجال العلم والأدب أكثر رواجاً وأوسع انتشاراً وأجلب للرضى والارتياح العام من مثلها لابطال الفتح ومغاوير القتال . ولا غرو ان فتوح العلوم والفنون ابقى على الدهر من فتوح السيوف والنيران فقد زال أشيل وهكتور وبقي هومر كما زال سيف الدولة ودولته وبقي المتنبي على القرون والأدهار .

المرة الاولى منذ اربعين شهراً في ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ اجتمعنا في دار المجمع هذه للاحتفاء بشاعر النيل المحبوب حافظ ابراهيم عند زيارته الاولى والأخيرة لمدينة دمشق وكثيرون من شهدوا تلك الحفلة الشائقة التي أسرع اليها أماثل هذه المدينة ووفود المدن الأخرى ليرحبوا بالزائر العزيز فحظوا برؤيته وكان ملء قلوبهم حباً ووقاراً وملء صدورهم تبجيلاً واحتراماً .

وما زلنا نذكر وقفته الوقورة على منبر هذا المجمع يشكر الحفل الغفير الذي اشترك بتكريمه وأولياء الأمر الذين عرفوا كيف يكرمون وسام الاستحقاق السوري بتعليقه على صدره .

لم يكن في دمشق ولا غيرها من البلاد العربية من يجهل مكانة حافظ فقد سبقه الينا من شعره الرائق رسل كرام جاءتنا عنه بالنبإ اليقين . وانما وجدنا بعد ان أسعدنا الحظ بمجالسته انه لا يقتصر على السيادة بين الشعراء والكتاب بل هو جليس لايشق له غبـار

وسمير لا يسار معه في مضمار ، محدث واسع الرواية وظريف حاضر النكتة ومتكلم نقي العبارة يستهوي جلاسه ويمسك على السامع أنفاسه . يجول في كل حديث جولة العالم المعتمد على علمه والأديب الواثق من نفسه .

في تلك الزورة القصيرة مكن حافظ لذاته في قلوب الدمشقيين حباً صميماً واعجاباً عظيماً وترك لنا واحدة من الذكريات الطيبة التي ما زال الدهر بها ضنينا .

وهذه هي المرة الثانية التي يقوم بهـا المجمع العلمي لتكريم حافظ ميتاً بعد أن اكرمه حياً . فجع به الأدب العربي بمنظومه ومنثوره فانهد له ركن من اركانه الراسخة وتداعى له صرح من صروحه الباذخة وفقد مجمعنا العلمي به عضواً من أنجب اعضائه وألمع بمصرعه ابناً من أبر أبنائه .

الأمة العربية اليوم ليست فقيرة بشعرائها فانهم يعدون العد وتميا بأسمائهم الحوافظ . وخزائن الأدب العربي ليست بحاجة لديوان من الشعر يضاف اليها فان فيهـا من الدواوين ما يجمع أكداساً .

ما أكثر الشعراء في سوريا والعراق . انك لا تكاد تقرأ صحيفة أو مجلة الا تراها مزينة بقصيدة لشاعر معروف أو مجهول . ولا يحدث في البلاد حدث كبير أو صغير الا تتسابق قرائح هـذا الجيش من الشعراء لتدبيج القصائد الجيدة في وصفه وتفصيله وبينما كان الذين يقرضون الشعر في الجيل الماضي نزراً يسيراً صاروا اليوم جماً غفيراً .

بعد أن وضعت قواعد الصرف والاعراب وتعينت أوزان الشعر بالتفاعيل وصار علم العروض في متناول الجميع لم يعد نظم الشعر سليقة لا يملكها الا من منّ الله عليه بهـا كما كان امره عند العرب قبل الاسلام وفي صدره . بل أصبح صناعة يستطيعها كل من تعلمها ومارسها فيأتي بالكلام الموزون المقفى ويستعين بمحفوظاته ومطالعاته ليستعير المعاني ويصوغها في قالب خاص منطبق على شرائط الوزن والقافية فيعد نفسه انه قال الشعر ويجد من ينعته به وينظمه في سلك الشعراء .

بيد أن الشاعرية ليست بهذه السهولة التي يتخيلها فيها دارس علم العروض فالمركب وعر والسلم بعيد المدى وليس كل من نظم القصائد شاعراً كما أشار الى ذلك حافظ بقوله :

قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا ما كل منتسب للقول قوال

والشعراء لا يخلدون بكثرة ماينظمون بل يخلدون بما يمازجون به من قريضهم طباع الناس وأساليب التفكير الرجيحة ويعالجون الأدواء الاجتماعية ويحللون العواطف النفسية باوصاف منطبقة على الحقائق الواقعة التي يشعر بها الخلق في أطوارهم المعاشية ٠ وأنت ترى أن الشعر الذي يثير فيك الاعجاب هو ما تجده مؤتلفاً مع ماعندك من الشعور وموافقاً لما في نفسك من فكر عميق لا تقدر على تصويره بالكلام أو مثيراً فيك عزة كامنة أو مذكراً اياك بخلق ترضاه فان كان ذلك من طباعك وسجاياك اعتززت به والفخرت وان لم يكن تمنيت لو كان لك منه نصيب ٠ وهذا مطلب صعب المرتقى كما وصفه أحدهم :

الشعر صعب وطويل سلمه   اذا ارتقى فيه الذي لايعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه   يريد أن يعربه فيعجمه

وهذا الذي جعل اكثر العلماء المتقدمين وأشهر الأدباء الأولين مثل ابن خلدون وابن المقفع يتجافون عن ركوبه ويتحامون النزول في مضماره ٠ وعند ما سئل ابن المقفع لماذا لا تنظم الشعر قال : ما يرضيني لا يلبيني وما يلبيني لا يرضيني ٠ فلو حذا حذوه الذين لم يخصهم الله بسجية الشعر وتركوا أمثال هذا العمل لأمثال حافظ من النابغين لخلت خزانة شعرنا من توافه الكلام ٠ أن حافظاً لم يكن مكثاراً في نظمه فكان لا يقول القصيدة الا اذا دعاه اليها داع واحب التلبية فكانت قصائده متباعدة الآجال تطلع على الناس مثل ورد الربيع بغضارتها ومثل فيض النيل بجزالتها فلا تكاد تصدر عنه الا تخطفها العيون والآذان وتحتويها العقول والأذهان ٠

قصائده الشرد السائرا   ت لايختصصن من الأرض دارا
اذا هن فارقن مقوله   وثبن الجبال وخضن البحارا

وكم من شاعر كالسموأل احرز مكانة في الصف الأول بين الشعراء بقصيدة واحدة وشاعر بقي في غيابة الخمول وله مئات أو الوف من القصائد ٠

كثيرون من الشعراء سئموا الحياة وتكاليفها أو اناخ عليهم الدهر فتمنوا الموت ليخلصوا من آلام الحياة ولكن قليلون منهم وصفوا هذه الأمنية بمثل ما وصفها حافظ :

سلام على الدنيا سلام مودع   رأى في ظلام القبر انساً ومغنما
أضرت به الأولى فهام بأختها   وان ساءت الأخرى فويلاه منهما

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهبي رياح الموت نكباء واطفئي سراج حياتي قبل أن يتحطما
فما عصمتني في زماني فضائلي ولكن رأيت الموت للحر أعصما
فياقلب لا تجزع اذا عضك الأسى فانك بعد اليوم لن تتألما
ويا عين قد آن الجمود لمدمعي فلا سيل دمع تسكبين ولا دما
ويا يد ما كلفتك البسط مرة لذي منة أولى الجميل وأنعما
فلله ما أحلاك في أنمل الردى وان كنت أحلى في الطروس وأكرما
ويا قدمي ما سرت بي لمذلة ولم ترتقي الا الى العز سلّما
فلا تبطئي سيراً الى الموت واعلمي بان كريم القوم من مات مكرما
ويا قبر لا تبخل برد تحية على صاحب وافى علينا وسلما

وهذا كلام يحلي مرارة الموت ويحرض النفس على اقتحام غمرته بالطمأنينة والحبور .

وقع احتلال مصر منذ خمسين سنة فرافق حافظاً منذ كان صبياً الى أن ادركته المنية فقضى نحبه وفي نفسه غصة على حال قومه وبلاده اظهرها في كل قصيدة من قصائده . وقد جرت في زمانه جميع الحوادث الخطيرة التي صاحبت هذا الاحتلال وكانت سبباً لتوليد الروح الوطني وانبعاث الأماني القومية في ذلك القطر الشقيق ويسّرت مجالاً فسيحاً لشعراء وادي النيل ليثيروا باشعارهم النعرة الوطنية ويسكبوا على بزورها النامية قطرات الرسيّ والانعاش ويربوا في الناشئة المصرية هاتيك الروح الوثابة التي هي أساس نهضة الأقوام وعليها يتوقف استقلال الشعوب .

نجد قصائد حافظ ملأى بنقد الحياة الاجتماعية في مصر خاصة وفي بلاد العرب عامة وفيها من الجرأة والصراحة بذكر الحقائق المؤلمة ماتنبه القوم الى مواطن الضعف في نظامهم الاجتماعي وعدم كفاءته للثبات في هذا الكفاح العمراني الذي أوجبه تزاحم الشعوب الحديثة . فهبوا الى الدرس وتلافي النقائص الموجودة واصلاح الفاسد من مرافق حضارتهم وكان هذا التحريض عاملاً قوياً لتلك النهضة الجريئة التي دشنت مصر عهدها وسبقت بها غيرها من الأقطار الشرقية فكانت لها قائداً ودليلاً .

انظروا الى مثال من مصارحته قومه منذ ثلاثين سنة يذكرهم بتقصيرهم في سباق الحياة ويحرضهم على النهوض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهل في مصر مفخرة   سوى الالقاب والرتب
وذي ارث بكاثرنا   بمالٍ غير مكتسب
وفي الرومي موعظة   لشعب جد في اللعب
أروني بينكم رجلاً   ركيناً واضح الحسب
أروني نصف مخترع   أروني ربع محتسب
أروني نادياً حفلاً   باهل الفضل والأدب
وماذا في مدارسكم   من التعليم والكتب
وماذا في معابدكم   من التبيان والخطب
وماذا في صحائفكم   سوى التمويه والكذب
فهبوا من مراقدكم   فان الوقت من ذهب
وهذي أمة اليابان   جازت دارة الشهب
فهامت بالعلى شغفاً   وهمنا بابنة العنب

فهو قد صدق قومه حين كاشفهم بحقيقة حالهم والصديق من صدق لا من صدق · رحم الله حافظاً ونفع قومه العرب بأدبه العالي وأخلاقه السامية · وانظر الى قوله يصف حال مصر وحاله مع المحتلين ·

فقد غدت مصر في حال اذا ذكرت   جادت جفوني لها باللؤلؤ الرطب
كأنني عند ذكراها ما ألم بها   قرم تردد بين الموت والهرب
اذا نطقت فقاع السجن متكأي   وان سكت فان النفس لم تطب

وهذا عين ما يشعر به ولا يستطيع وصفه بمثل هذه الديباجة الرائعة كل من رأى في قومه ضيماً فهو يتردد بين الاقدام لدفعه فيسحقه كيد الظالمين أو السكوت على الأذى أو الاغماض على القذى فيبقى حليف الغصة وصريع الهموم ·

بماذا يرثى حافظ وهو أمير الرثاء وما هي مراثيه للأفذاذ الذين خلدهم بآيات رثائه المثل الأعلى في الاعجاز والابداع · حتى ان أمير الشعراء تمنى هذه الأمنية في مطلع قصيدته التي رثى بها حافظاً حيث قال :

قد كنت أوثر ان تقول رثائي   يا منصف الموتى من الاحياء

ولست أجد للقول في رثاء حافظ وأصدق عليه وأحق به مما قاله هو نفسه في رثاء الشاعر الكبير محمود سامي باشا البارودي :

لبيك يا مؤنس الموتى وموحشنا ... يا فارس الشعر والابداع والجود
بيك يا شاعراً ضن الزمان به ... على النهى والقوافي والأناشيد
تجري السلاسة في اثناء منطقه ... تحت الفصاحة جرى الماء في العود
في كل بيت له ماء يرف به ... يغار من ذكره ماء العناقيد
لو حنطوك بشعر أنت قائله ... غنيت عن نفحات المسك والعود
لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة ... من كنز حكمته لا جوف أخدود
وكفنوه بدرج من صحائفه ... أو واضح من قميص الصبح مقدود
وأنزلوه بأفق من مطالعه ... فوق الكواكب لا تحت الجلاميد
وناشدوا الشمس ان تنعي مناقبه ... للشرق والغرب والأمصار والبيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

✻ حياة حافظ ابراهيم ✻

« للاستاذ محمد بك كرد علي »

ولد حافظ ابراهيم في اليوم الرابع من شهر شباط سنة ١٨٧١ في مدينة الاسكندرية وكان والده مدير شرطة جرجا . فنشأ نشأة ابناء الموظفين ليصبح كأبيه موظفاً . وبعد ان انجز دروسه الابتدائية والثانوية في المدارس الاميرية . دخل المدرسة الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثان في المدفعية فأرسل الى السودان في خدمة الجيش المصري .

وفي السودان تجلى استعداده للشعر ، وكان ينظمه وهو يافع للتسلية والتحلية . وعرف بين اقرانه بشدة عارضته ، وقوة حجته ، فكانوا ينتدبونه اذا احزبهم حازب للدفاع عنهم في المحاكم العسكرية ، فيربح القضايا ببلاغته وحضور ذهنه . ولذلك عدوه الصدر المقدم فيهم على صغر سنه ، لما أوتيه من خفة الروح ، وجميل النادرة ، ولعطفه على لداته ، ولما خص به من الفصاحة التي لم يكتب مثلها لاحدهم .

ووقعت في السودان مؤامرة اوشبه مؤامرة في الجيش ، فكان حافظ في جملة من اتهموا بتدبيرها ، لانه كان كبش الكتيبة ، فسرّح مع من سرح من الخدمة ، وعاد الى مسقط رأسه ، آسفاً للظلم الذي ناله فأضاع مستقبله ، فرحاً بانقاذه من عيش قاسى فيه الامرّين في بلاد الزنوج من غطرسة بعض ضباط البريطانيين ، وبرئ بعد حين مما اتهم به بتوسط كبير من أحبابه ، ومنح رتبة رئيس ، ثم دخل الشرطة سلك أبيه فعزفت نفسه عنها ، ولم يلبث ان غادرها لعدم ملاءمتها لنوازع نفسه .

ولقد اورثته التربية العسكرية مضاء وحزماً وسلطاناً على النفوس ، وكان مما خص به جهارة الصوت ، كأنه قائد يأمر جنده وقت التعبية والمصاف ، وكأنه الآمر الاكبر يملي ارادته على مأموريه ، ولكن بلطف شاعر ، لا بعنف آمر . واجتمعت له رفاعة الصوت الى جمال الالقاء ، فكان تأثيره عظيماً في يوم الحفل اذا انشد . وظل حافظ منذ خرج من

الخدمة في سنة ١٩٠١ الى ان عين رئيساً للقسم الادبي في دار الكتب المصرية سنة ١٩١١ يتوفر على حرس حقل الادب يزرعه ويجنيه ، ومجبراه مطالعة (كليلة ودمنة) و (العقد الفريد) و (الاغاني) يقرأوها ثم يقرأوها ثم يقرأوها ، حتى هضم مافيها وتمثله وتصفح دواوين الشعر واختار بيتاً فذاً لكل شاعر أصاب معنى شريفاً .

وساعده الطالع فاتصل منذ كان في السودان بصلة النسبة الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكان شكا اليه بالمراسلة بثه وحزنه ، ومايلقاه من جور الدهر ، ولما عاد الى مصر الفى مفتي الديار المصرية في روعه من جميل حكمته ، ومحكم تجاربه مااستعدت به نفس الشاعر الى الانتقال الى طور آخر في الشعر يجرده من اوضاعه القديمة ، ويكسوه ثوباً قشيباً ، ويكسره على المطالب الوطنية العالية ، يضرب فيه على العرق الحساس في الناس ، وكانت نفوسهم سئمت مارأت من ابتذال الشعر في الغزل والمديح ومااليهما ، وهي الى بضاعة جديدة أشوق ما كانت منها الى أطمار بالية .

وكان الرعيل الصالح الذي يلتف حول الاستاذ الامام صفوة أئمة الثقافة العالية في عصره وكلهم ممن بلغ في العلم والأدب أطوريه كحفني بك ناصيف والشيخ سيد المرصفي من رجال الأدب القديم ، ومحمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري من مجددي الشعر الحديث ، وابراهيم بك المويلحي وابنه محمد بك المويلحي من الكتاب المجودين الى عشرات أمثالهم من الأدباء والعلماء والقضاة والاجتماعيين والسياسيين أمثال قاسم بك امين وأحمد فتحي زغلول باشا وسعد زغلول باشا وحسن عاصم باشا واحمد حشمت باشا واحمد تيمور باشا في نفر من أساتيذ المدارس العالية ولاسيما جماعة دار العلوم . وكلهم كما قال حافظ في الاستاذ المفتي (يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام) هؤلاء كانوا لحافظ عشراء ومعلمين وموحين ومنشطين ، وهم من قادة الأفكار في الأمة المصرية ، اما ناشئتها المتنورة فما ينقضي عجبها من شعر حافظ كلما رأته موضع إعجاب أولئك الاعلام .

وبدأت شهرة حافظ تعظم بين المصريين لان نفسه كانت تألم للظلم حلّ به أم بغيره ، يحس مطالب الشعب ، لأنه يعيش بين ظهريه ، ويستمع لشكواه وبلواه ، وما فتئ منذ تطوع في خدمته ، ينطق بمايفرج عنه كربته ، ويدعوه الى النهوض ، ويشحذ منه العزائم ، يربده عن اطراح سفساف الأمور ، والتذرع بما يُبقي عليه ثروته ، ويعيد اليه مجده ،

ليستوي شعباً فاضلاً في المدينة الفاضلة ٠ وكان من يشعر شعور حافظ من الشعراء قبل نبوغه قد يقع لأحدهم البيتان والثلاثة في معنى الاصلاح أو الشكوى ٠ اما الشاعر المجدد فأنشأ ينشئ القصائد تلو القصائد ٠

وكان العقد الذي مضى بين خروجه من الخدمة الى ان عاد اليها (١٩٠١ — ١٩١١) من أخصب ايام شاعرنا انطلق يتفنن في النظم على وجوه جديدة في أبواب الاجتماع والسياسة ، ومصر بل كل مصر لاتعدم الحين بعد الحين نهزة حوادث تفتق لسان الابكم بالكلام ، فكيف برب البلاغة والفصاحة ، يضاف ذلك الى ما في تلك البيئة الغنية من العظات ، ومالذلك البلد الطيب الذاهب بفضل السبق بين الاقطار العربية من الموقع الجغرافي المتوسط بين المشرق والمغرب ٠

عبر كلها الليالي ولكن اين من يفتح الكتاب ويقرا

وكانت الأمة المصرية في تلك الحقبة من الزمن تشتد في بلوغ هدفها الاسمى في الاستقلال ، وتقوى كل يوم في بنيها الدعوة الى الوطنية والقومية ، وكان عهد استمتاعها بحريتها في القول والعمل على صورة ما عهدت مثلها في تاريخها ، فكان للشاعر من مطالب أمته موضوع جذاب متسع الاطراف ، اتساع أفق الشاعر الذي توفر على الزهد في موضوعات الشعر القديم ، خصوصاً وهو بمأمن مما يعبث بالحرية المدنية والوجدانية ينعم بنعمة حرية القلم واللسان ٠

وما اقترب مترجمنا من ارباب المقامات العالية الا بالقدر الذي لا يحرق فيه نفسه ، محتزئاً بما يغنيه عن الفناء فيمن هوامهم في الحقيقة الاحتفاظ بسلطانهم ، ولا يرضون عن الشعراء والكتاب الا اذا باعوا منهم الاستقلال الفكري بشيء من حطام الدنيا ومظاهرها الخلابة ٠ ومن كانت الأمة تصفق له ، وعلى رأسها اولئك السادة يناضلون عنه ، لتغرسهم فيه الخير ، يستوي عنده رضا الكبراء وغضبهم ٠ فحافظ اذاً هو وليد النهضة الاخيرة ولسانها الجريء ، ارتبطت مصلحته بمصلحة الأمة منذ عاهد ربة الشعر على الوفاء لها ، فاصبح شاعر مصر الاجتماعي والوطني غير مدافع ، لاينتج الا للادب ، ولغة العرب ٠

سئل المرحوم اسمعيل صبري باشا شيخ شعراء مصر عن الثلاثة المبرزين من شعراء القطر (شوقي وحافظ ومطران) فقال (شوقي ينظم ، وحافظ يبني ، ومطران يبتدع) هذا حكمه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليهم وهم في الكهولة ، فاي حكم بصدر يا ترى وهم في سن الكمال ، يبدعون هذا الابداع ويعيدون بصنيعهم الى شعرنا ما كان له من اشراق الجزالة في القرن الرابع بالبحتري والرضي وابي الطيب وابي تمام ٠

نعم ان حافظاً في الشعر بناء وأي بناء ، ما عهد عصرنا شاعراً يصقل شعره كصقله قبل ان يخرجه للناس ، ولا كاتباً يطيل النظر في كلامه إطالته ، ولا اديباً اروى منه للاشعار والاخبار ، يسقط على مناجم الأدب فيستخرج منها كنوزها الدفينة ٠ هو بناء مُقدَّر يتعذر على احذق النقاد ان يتبين الخلل في تضاعيف نسجه ، يصور فيه حالة عصره وروح اهله وعشيرته ، ويسرهم وعسرهم ، وما ديوان شعره على اختصاره الا صورة ظاهرة للوقائع التي شغلت قلوب اهل جيله وقبيله ٠ وليس في ايقاع ما يوقع على قيثارته من قوافيه وضروبه الا مايفعل في الارواح ، فترنح له الاشباح غير متمهلة ، يشدو به وينوح ، ويطرب ويعجب ، ويهز به اوتار القلوب ٠

مااستفاضت شهرة حافظ الاسيرة بشعره مع حاجة المصر فأثر به هذا التأثير القليل النظير ، واحتظى به هذه الحظوة عند العرب كافة ٠ بيد انه حاول ان تكون له مثل هذه المنزلة في النثر فكتب كتاب ليالي سطيح وعرّب البؤساء لهوغو وخرج بهما بعد اكراه السليقة مستقيمين له كما أراد لا كما يُراد ٠ اخطأهما التوفيق الذي كان يتوقعه من نشرهما ، وجاءت عليهما مسحة من التعمل ، وهذا ما عافه الناس بعد ان ابتلوا قروناً بقراءة دواوين المتكلفين من الناثرين والناظمين ٠ اما كتابه الموجز في علم الاقتصاد الذي نقله الى العربية مع صديقه خليل مطران بك فكان من اجمل مانقله الناقلون في العهد الاخير ٠

واذا كان حافظ قد تخطاه الحظ في منثوره على الجملة ، فذلك لأن من الموضوعات ما تشتد حاجته الى سلاسة في التقرير وسلامة في التعبير ، اكثر من رصف الألفاظ واحكام الجمل ٠ فمن ثم كان حافظ في نثره نحاتاً باهراً لا بناء ماهراً ، ما كتب له على متانته في أجزاء بنائه ان يورث النفوس روعة اذا نظر اليه بمجموعه ٠ والروعة في المبنى تنبعث من روح الباني ولا تتأتى بتعمل واجهاد ، والبلاغة في الاسلوب اكثر ما هي في القوالب وما تعطيه من المعاني ٠

ولئن عصي بيان حافظ على التبريز في النثر ، فقد كان مطواعاً له اذا حدث وحاضر ،

كان يسحر الطبقات المختلفة بما يورد عليهم من احاديثه ومروياته ، ويسقيهم من معين محفوظه الذي لا ينضب ، اعذب ماظفر به من كلام القدماء والمحدثين ، وكان بحضور ذهنه ، وغريب بديهته ، على مايندر في الادباء مثله ، ينشد ادر بكل ذلك بحسب المجالس التي يصير اليها ، رصيناً في الفاظه ومعانيه ، بارعاً في مختاراته ، يردفها ابداً بما يوائمها من حاضر الوقت ، يطرب بها نفس الفرح والمكتئب ، ويود جليسه لو طال مكثه في حضرته يتغنى كالبلبل الغريد ، وقل جداً في كبار الكتاب والشعراء من حيز لهم بيان اللسان كحافظ ، اللهم الا ان كان مايروى من احاديث اناتول فرانس كاتب فرنسا الاكبر الذي سارت بقصصه وافاكيهه الركبان ، واعجبت بمجالسه الرجال والنسوان .

اطلع حافظ على شعر الافرنج بقدر ماواتته ملكته من اللغة الافرنجية ، اطلّ منها على اديهم اطلال نابتة . اما وقوفه على شعر العرب فهناك الامتاع ، وهناك الابداع . وفي الحق انا لانعرف في هذا العصر اديباً عربياً جزل قسطه من جيد المحفوظ كما جزل قسط حافظ من استظهار ادب العرب ، ولا غرو فهو حافظ الادب ، ولكل اسم من مسماه نصيب .

كان حافظ ينبسط في احاديثه مع جلسائه ، يلقي على مسامعهم من كل صنف في ساعة ماتجمد حافظة غيره عن ايراده في ايام . يلعب بالعقول والقلوب حتى ينسي سامعيه كل مهم لهم . هو جد طروب ، جد لعوب ، لايحزن الالفقد حبيب ، ولذلك تراه قد جود من وراء الغاية في رثاء من رثاهم من معاصريه ، وهو لا يتكلف الندب لانه ملق ممن يحب ويُحب . وقل ان تنقبض نفسه الا اذا حات بامته كارثة فيكون في طليعة من يواسيها ، ولا تتهيأ له اسباب القول الا يوم تعرض للقوم كبريات المسائل فتستدعي اشتراكه بطبيعة الحال . وكان لكلامه ابداً موقع من القبول في القلوب ، لانه مؤمن حق الايمان بما يقول .

كان رحمه الله في الغاية من حسن الوفاء مع كل من عرفه ، يمثل منذ وعى على نفسه الاخلاق الفاضلة والتعاليم السامية ، وتتجلى فيه البطولة وقوة الارادة . ماعهدت فيه كزازة اليد ، ولا خطر بباله جمع المال ، فكان طول حياته كاسباً واهباً ، يسخو سخاء الاغنياء ، وهو في الواقع بائس مقتر عليه ، وربما اخرج من جيبه كل ما يملك من الدراهم فنزل عنه لطالب عطائه لا سيما اذا كان من المتأدبين ، يعطي وهو مغتبط لتلبية الطالب ،

وقيامه بالواجب ، وان اضطرته الحال بعد ساعة الى ان يقترض ديناراً ليطعم به ٠

كان حافظ لا يعرف الرياء والمصانعة والدس ، كذلك كان وهو يشكو بؤسه ، وكذلك كان وهو عامل من عمال المعارف موسع عليه في الجملة ، وضعف جسمه فكان في اعوامه الاخيرة لا يعمل الا مضطراً ساعة من نهار ، اما فكره ففي شغل شاغل ابداً بايجاد اللفظ الانيق للمعنى البديع ٠ وآلت به الحال بأخرة ان لا يختلف الى مقر عمله الا يوم قبض الراتب ثم يعود ادراجه ٠ وكان لا يتأنق في لباسه ولكنه يتأنق كثيراً في طعامه وشرابه وتدخينه ٠

هذا ياسادتي حافظ وهذه سيرته وسيره وادبه ٠ لاجرم انه رجل حس عال ، عاش في ألم وأمل ٠ ألمه لما أصاب قومه من الانحطاط ، وأمله ان يرى العرب يقالون من جدهم العاثر ويستعيدون مجدهم الغابر ، وما اصطنع الشعر الاتبعة بجماله ، فكان صناعة له استخدمها في أفضل المروآت ، وأنبل الغايات ٠ هو غريب في بابه ، منقطع القرين بين أترابه ٠ ما تهنأ الحياة كثيراً ، وما عرف سعادة البيوت ، وعطف البنين ، عاش للمجتمع ، وشقي ليسعد الناس وما خلف الا هذا الشعر الخالد ، الذي تفنى الايام ولا تبلى جدته ، وما أجدرنا أن نخاطبه وقد هدأ ذاك العصب الحساس ، وسكت ذاك الجرس الفاتن ، وهو رهين حفرته بقول أستاذه اسماعيل صبري في راحة القبر :

ان سئمت الحياة فارجع الى الار	ض تنم آمناً من الأوصاب
تلك أم أحنى عليك من الأ	م التي خلفتك للأتعاب
لا تخف فالمات ليس بماح	منك الا ما تشتكي من عذاب
كل ميت باق وان خالف العد	وان مانُص في غضون الكتاب
وحياة المرء اغتراب فان ما	ت فقد عاد سالماً للتراب

﴿ حافظ ابراهيم واللغة العربية ﴾

« للاستاذ المغربي »

ليس إحتفال مجمعنا العلمي بتأبين (حافظ) وإكبارنا الفجيعة فيه لأنه كان صديقاً لنا : إذ ما كل صديق نحتفل بتأبينه — ولا لكونه شاعراً من شعراء أربعة أو خمسة تعقدُ البلاد العربية عليهم الخناصر — ولا لكونه كان نديماً ظريفاً . ولا أخبارياً محدِّثاً — بل ولا لكونه من أعضاء مجمعنا العلمي : إذ لم يأخذ المجمع على نفسه أن يحتفل بكل واحدٍ من أعضائه .

الفجيعة في حافظ أيها السادة هي فجيعة اللغة العربية فيه ولم ينشأ المجمع العلمي الا لخدمة هذه اللغة . والحرص على إرضائها : فاذا بكت اللغة بكى المجمع . واذا صاحت اللغة : واثكلاه واوحيداه صاح المجمع صياحها : واثكلاه واوحيداه ! وهذه لغة الضاد في موت (حافظ) أقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السليمانية : تبكي في مأتمها هذا حافظاً وتندبه .

(أبنانُ[1] يبكيه . وتبكي الضادُ من حلبٍ الى الفيحا الى صنعاء)

وان اجتماعنا هذا أيها السادة صورةٌ مصغرة للمأتم الكبير الذي أقامته اللغة لتأبين حافظ . وأقوالنا في هذه الحفلة انما هي صدى ندبها وعويلها :

(لقد[2] رزئت أمُّ اللغات وحيدها فان لم تكنه فالأبُ البرُّ والجدا)
(مشت تتلوّى خلف نعشك كلما دعا باسمها الداعي أجدَّ لها وجدا)
(فلما بلغتَ القبرَ خرّت لوجهها تضجُّ وتشكو من تباريحها الجهدا)

حافظٌ أيها السادة هو الشاعرُ الشاعر . وهو فوق ذلك لُغويٌّ وأخباري .

---

(١) من مرثية احمد شوقي في حافظ .

(٢) من مرثية احمد محرم في حافظ .

أما كونه شاعراً فأمر لا يجهله أحد . ومن يجهل أن « حافظاً » كان اذا قال شعراً لا يلبث أن تتناقله الأفواه . وتتلمظ بحلاوته الشفاه ؟

شعرُ حافظ يمتزج بالعاطفة فيوأدِّ فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيوأدِّ فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان . فيغرس فيه ملكة الفصاحة .

مدارسة كتب الأدب . واستظهارُ الفصيح من نوادر اللغة لا يمنح النفسَ واللسان ملكة الفصاحة بقدر ما يمنحها شعرٌ كشعر حافظ : نقيُّ اللفظ منسجمُ الأسلوب مشرق الديباجة . يُعبر عن خوالج النفس الوطنية الثائرة فيحفزها نحو مطامحها العظمى . ويُنير أمامها الطريق الى مثلها الأعلى .

شعر حافظ كالمصباح يمشي نورُه بين أيدي أبناء أمته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون .

شعرٌ مثل شعر « حافظ » يحيي لغتنا . ويحيي قوميتنا . ويثبِّت أقدامنا في أوطاننا . كان (حافظ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أمته . لا لخدمة شهرته .

وإن فتىً عربياً أو فتاةً عربية يحفظ من شعر حافظ قصيدة (غادة اليابان) أوقصيدة : (خرج الغواني يحتجـ ـن ورحت أرقب جمعهنه)

فتستفيد منها ملكةً في اللغة الفصحى . وحميةً في حبِّ الوطن . أكثر من مئة قصيدة غامضةِ المعنى . أعجميةِ الأسلوب .

ولولا أني أتكلم عن (حافظ) من ناحيته اللغوية لسردتُ لكم شواهد تؤيد ما ذكرت . على أن أحداً منكم قلما يجهل ذلك من أمره . ومعظمكم يستظهر الكثير الطيب من شعره .

* * *

نحن معشر العرب أصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر أوضاع اجتماعنا . ولم تخلُ لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة أيضاً : لم تخلُ من تنّين هائل يوائبها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التنينُ هو فكرةٌ مشؤومة ترمي الى إحياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى .

ها هي اللغة العربية في حدود سنة (١٩٠٠) أي منذ ثلاثين سنة تقف على ضفاف النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الأعضاء والهةً ذاهلة : تندب نفسها . وتشكو مصابها :

(يا ويح أهليَّ أبلى تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون مادائي)

داؤها أيها السادة هو ما خامر نفوس أبنائها من زهدهم فيها ، وانصرافهم عنها الى غيرها من اللغات الأجنبية ، والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة إحياء اللغة العامية ، تلك الفكرة المتمثلة في أحد دعاة الانكليز (المستروبلور) .

هبط (المستروبلور) مصر في ذلك الحين ، وقام بدعاية واسعة النطاق للغة العامية المصرية ، وخطب في الموضوع وكتب ، وحاور وناظر ، وألف كتاباً نشره على المصريين ، يدعوهم الى فكرته ، ويقنعهم بصحة نظريته .

ومما يؤسف له أيها السادة أن يجد (ويلور) أنصاراً له من الشعوبيين ، شايعوه على رأيه ، وأقاموا ضجة في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة ، وكادت تكون لويلور ولأشياعه الغلبة لولم تصدمهم نهضة حماة اللغة الفصحى ، وفي طليعتهم فقيدنا بالأمس (حافظ ابراهيم) فيرفع صوته في وسط تلك الضجة ، منشداً قصيدته الخالدة ، على لسان اللغة الفصحى : تخاطب أبناءها وتشكو أغانيها ، فتقول :

(أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوأدي في ربيع حياتي)

(ولو تزجرون الطير يوماً علمتم بما تحته من عثرة وشتات)

ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :

(أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير أناة)

(وأسمع للكتاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاتي)

ثم تحضهم على الأخذ بالحزم في دفع الضرر عنها :

(فياويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم اذا عزَّ الدواء أساتي)

(فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي)

ثم ذكرتهم بجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :

(سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يعزُّ عليها أن تلين قناتي)

(حفظن ودادي في البلى وحفظته لهنَّ بقلب دائم الحسرات)

وعاتبتهم على ميلهم الى اللغة العامية الممزوجة بالألفاظ الافرنجية .

(أيهجرني قومي عفا الله عنهمو الى لغة لم تتصل برواة)

(سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعابُ الأفاعي في مَسيل فرات)
(فجاءت كثوب ضم سبعين رقعةً مشكلة الألوان مختلفات)

وعادت اللغة الفصحى الى وصف مزاياها والتساؤل لماذا عقّها بنوها · وهي لم تقصر في خدمة دينهم وحضارتهم · فقالت :

(وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ)
(فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق اسماء لمخترعات)
(أنا البحرُ في أحشائه الدرّ كامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي)

ثم عيرت أبناءها بالغربيين الذين عزّوا لما عزّت لغاتهم فقالت :

(أرى لرجال الغرب عزّاً ومنعةً وكم عزّ أقوامٌ بعزّ لغاتِ)
(أتوا أهلهم بالمعجزات تفنّناً فياليتكم تأتون بالكلماتِ)

ثم ختمت شكواها بتقديم إنذارٍ مخيف الى الكتّاب الحسني الظن بلغات الافرنج وآداب الافرنج · فقالت :

(أيا معشر الكتّاب والجمع حافلٌ بسطت رجائي بعد بسط شكاتي)
(فإما حياةٌ تبعثُ الميتَ في البلى وتُنبتُ في تلك الرموس رُفاتي)
(وإما مماتٌ لا قيامة بعده مماتٌ لعمري لم يُقس بمماتِ)

كانت هذه القصيدة من شعر (حافظ) من أمضى الأسلحة التي شُهرت في وجه (المستر ويلكوكس) فأخفقت دعوته · وطويت رايته · ونكص على عقبيه الى بلاده ·

وكان أمير الشعراء (احمد شوقي بك) يُشير الى هذا الموقف المحمود الذي وقفه (حافظ) في وجه دعوة (ويلكوكس) فقال في رثائه له :

(يا حافظَ الفصحى وحارسَ مجدها وإمام من نَجلتْ من البلغاء)
(ما زلتَ تهتفُ بالفصيح وفضله حتى حميتَ أمانة القدماء)

وكما حنقَ (حافظ) على (ويلكوكس) حنق أيضاً على المستر (بلنْت) الانكليزي الذي اشتهر في الدفاع عن القضية المصرية ضدّ قومه الانكليز : فان هذا المستر كان يرفع من شأن القصص العربية السخيفة العبارة ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القصص المسمى (إيبيك) وانها إلياذةٌ عربيةٌ صغيرة ·

فما كان قوله هذا لِيَسُرّ (حافظاً) بل كان يحسبه خدعةً ودعوةً الى اللغة العامية .

***

ثم إن فوز (حافظ) في هذه المعارك نشّطه الى متابعة العمل في نصرة اللغة . فاستمرّ يُحيي فصيحها . ويَنثُر الدرّ من كلمها الى آخر نسمةٍ من حياته . بل كان في مجالسه . وبين طلاب الأدب المطيفين به — كأنه (استاذٌ سيّار) يصحح أغلاطهم . ويرشدهم الى الفصيح من القول . والصحيح من الأساليب :

قال الدكتور (زكي مبارك) ما ملخصه :

استنشدني (حافظٌ) يوماً شيئاً من شعري فأنشدته قولي :

(يا من يَعِزُّ علينا أن نجازيهم صدّاً بصدٍّ وإغضاءً باغضاء)

ونطقتُ (يعِزّ) بكسر العين فقال (حافظٌ) يظهر يا مبارك أنه يحسن أن تقول (يَعَزّ) بفتح العين لأن (يعَزّ) هنا بمعنى (يَشُقّ) لا بمعنى (صار عزيزاً) حتى تكسر العين ومع هذا أرجوك أن تراجع القاموس . قال فراجعته فوجدته يقول بجواز الوجهين : الكسر كما قلت أنا . والفتح كما قال حافظ . قال الدكتور : ومع هذا فقد استفدتُ من حافظ فائدتين : (١) اللطف في تصحيح أغلاط الإخوان . و (٢) الشعور بقيمة الدقة في نطق كلمات اللغة : إذ كان من رأي حافظ أن نخصّ (يَعَزّ) المفتوح العين لمعنى يشقّ والمكسور العين لمعنى صار عزيزاً .

***

ولا يخفى عليكم أيها السادة أن المجامع العلمية اللغوية إذا كانت إنما أُنشئت لغرض حماية لغة الوطن — فأن (حافظ ابراهيم) عضو من أعضاء مجامعنا اللغوية بفطرته . وبنابل من غيرته على لغته .

قال الدكتور (حسين هيكل) « إن لحافظ ميلاً شديداً الى أن يظهر اللغة العربية في كمال قوتها . وأنها تضاهي أحدث اللغات صقلاً وحياة . وهو يهزأ بالمزاعم التي كانت توجه اليها من أنها لغة قديمة عاجزة عن ان تجاري الحياة الحديثة اه » .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري في مرآته :

(ولا ننس لحافظ يداً جليلةً على اللغة العربية : فلقد طالما استخرج من مخبّوء اللغة

صيغا طريفة بليغة أدت كثيراً من المعاني التي تحرك في أنفس الناس ، وبعي أداؤها على الاقلام) .

* * *

أما مقدرة (حافظ) اللغوية العملية فتتجلى لنا في الالفاظ الفصيحة التي كان يودعها قصائده ومصنفاته ، وقد شهد له بهذه المقدرة (الشيخ ابراهيم اليازجي) : فقد كان يستجيد ذوق حافظ في اللغة ، واختيار فصيح كلماتها .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري ايضاً :

« إن (حافظاً) لايرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لأن هذه المعاني تقع للدهماء والعامة ، وانما جلال الشعر وبهاؤه في إشراق الديباجة ، ونصاعة القول » .

وقال خليل بك مطران :

« لحافظ غرام باللفظ لايقل عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على البيت الذي جاد معناه ، فاذا فاته الابتكار في تصور المعنى ، لايفوته الابتكار في تصويره باجزل الألفاظ ، وأبلغ الأساليب » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذن يمكننا القول بان (حافظاً) كان لغوياً من الوجهة العملية التطبيقية كما كان لغوياً من الوجهة العاطفية القومية .

* * *

وكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين حمدوا الله على ان كان أسلوب (حافظ) في شعره ، غير أسلوبه في نثره : فقد كان رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة والسلاسة ، أما في نثره فأمره على العكس : كان يتأنق فيه وينصب نفسه في انتقاء كلماته ، لكنه لم يوفق الى جعله سهلاً سلساً ، فلم يعد نثره مقبولاً الا لدى الخاصة وجهابذة الأدب .

على أن بعضهم مهد لحافظ طريق العذر : كالدكتور لطفي جمعة فانه قال :

« ان (حافظاً) على كل قد أحسن الى قراء العربية وكتابها : وذلك لأنه أنعش أسلوب الكتابة ، وحفز الهمم للبحث عن الألفاظ الجزلة ، وأثر في كتابة الصحف أثراً نافعاً » .

ثم إن عناية (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على أشدّه في ترجمة (البؤساء) فلم يُرض ذلك أنصار الأدب الحديث . وإنما أرضى أنصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فانه رحمه الله كان يُعجَب بكتابة حافظ وما تضمّنته من الألفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدّى الى استخراج كتاب (البؤساء) فندعو الله أن يزيده بؤساً حتى يزيدنا من هذا الأدب الجميل » .

* * *

ولا غرو أن يرحب مجمعنا العلمي بنثر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لأننا معشر أعضاء المجمع أول مايهمنا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحة . وأن تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يميته الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعوبية .

واللغات أيها السادة ! كما تنمو باضافة كلمات أجنبية اليها تنمو باحياء القديم الفصيح من كلماتها .

وقد تفطّن (حافظ) الى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات .

فكتابه (الاقتصاد السياسي) ألّفه أو ترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) ليثقف الطلاب على هذا العلم . ويقرر لهم قواعده . لكنه أودعه من (الألفاظ الكتابية) ماجعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب علم واقتصاد .

وكذلك شأنه في كتابه (سطيح) الذي نقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصصي نسب روايتها الى من سماه (سطيحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكان ينبغي ان تجتمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الأساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الألفاظ الجزلة .

وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه الى العربية بؤساء (فيكتور هيكو) . وفيكتور هيكو جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتاد مخاطبته . فالسوقي العاميّ مثلاً لا يتكلم بلغة العالم الأديب . ولا العكس . وطريقة (هيكو) هذه مطابقة للمبدإ الذي قرّره أديب العرب الأكبر (الجاحظ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوقة وألفاظ العامة أن تروى كما هي

أي مغلوطة "الملحونة" والا ذهب رونقها وضعف تأثيرها .

وشاعرنا (حافظ) رحمه الله كان كلفه بفصيح اللغة وجزل ألفاظها يحمله على أن يترجم كلام السوقة من أبطال البؤساء بعبارة فخمة الألفاظ لا ينطق بها عادة الا الفصحاء .

فالبنّاء الذي يبني رصيف الشارع اذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات (تيا من ثم تيا سامر) و (ركب الحجّة) و (ما أخلقك يا فلان بكذا) . هكذا (حافظ) ترجم لنا كلام البنّاء الافرنسي .

ووصف لنا فرساً بأنه (سحبير . عدلب . أهنع . أدك . مفتوح اللبان) و (فلان ليث ، ما أقاً بحيط من الأجل تحت شقي مقص الفناء) .

وكذلك استعمل كلمة (ألجر) بمعنى أدركه الفجر و (بسل) بمعنى حرام و (انتعل أديم الأرض) أي سار بلا حذاء . و (تنابل تنابل) بمعنى جماعات جماعات . الى غير ذلك مما حمله ولوعه به على استعماله في غير مواطنه . مواطن هذه الكلمات كتب الأدب و (المقامات) . لا القصص والروايات . فحافظ بهذا الاعتبار خليق لغوياً كاتباً . بل كاتباً مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما هو في الشعر فعلى العكس : اذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة تدل على شرهه وحرصه . فمن ثم لم يكن لغوياً في شعره . كما كان لغوياً في نثره .

ولكن هذا الشره الى غريب اللغة في النثر إن كان ساء أقواماً فإنه لم يكن ليسوء مجمعنا العلمي الذي يحرص على أن تحيى اللغة العربية بإحياء الفصيح من كلماتها . والقديم الرائع من تعابيرها .

لذلك كانت فجيعة المجامع اللغوية بحافظ من جهة لغته ونثره . تعادل بل تفوق فجيعة الأمة العربية به من جهة نغمه وشعره .

* * *

وصفنا لكم أيها السادة (حافظاً) العضو في مجامع اللغة والأدب أما (حافظ) العضو في مجالس الأنس والطرب فاليكم طرفاً مما يتسع له المقام :

يظهر أن أهل (حافظ) تنبأوا يوم ولادته بأن سيكون ولودهم كثير الحفظ لأخبار العرب وأشعارهم ومستملح نوادرهم فسموه (حافظاً) .

روى أصدقاؤه (حافظ) أنه كان يعمل على وضع مصنف في المرقص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من أروع أبياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب ، حتى بلغ نصفه ، فاختار لبعض الشعراء مثلاً قوله :

(ولا بدَّ لي من جهلة في وصاله فهل من كريم أودع الحلم عنده)

واختار لغيره غيره وهكذا ،

وان اتساع (حافظ) في حفظ بليغ أشعار العرب على هذه الصورة أثر فيه ذوقاً في اللغة العربية ، فكان أنقى الشعراء المعاصرين عبارة ، وأصحهم تركيباً ، وأكثرهم تدقيقاً في اختيار الفصيح الرائع من الألفاظ ،

وليس هذا فقط بل إن حفظه لأخبار العرب جعله نديماً ظريفاً : غير مملول المجلس ، ولا مأجوم الحديث ،

وقد استحسن الدكتور (زكي مبارك) ان نطلق على (حافظ) ومن كان على شاكلته من حفاظ أخبار العرب — كلمة (محدث) قال : وهو الذي يسميه الافرنسيون (Causeur) وأنا لا أوافق الدكتور على ما قال : لأن لقب (المحدث) غلب في لغة الاسلام على راوي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمة أخرى أحق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبة الى التبحر في الأخبار ، والاتساع في الرواية ،

وقد كان (الجاحظ) أكبر (أخباري) قام في الاسلام ، وبعده المسعودي والمحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة وغيرهم كثيرون ،

وسمّى (الجاحظ) هذا العلم (علم الخبر) وأثر عنه أنه قال (علم الخبر هو علم الملوك) ، وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن حافظاً كان أكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا ، كما كان (أناتول فرانس) أكبر أستاذ في هذا العلم عند الافرنسيين ،

وكان (حافظ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوق في هذا العلم : استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتب اليه هذين البيتين :

(قل للرئيس جزاه الله صالحة بأن شاعره بالباب ينتظر)
(إن شاء حدثه أو شاء أتحفه بكل نادرة تروى وتبتكر)

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في زيارته الأخيرة لبلدهم — أنه أبرع أخباري، وأظرف نديم عرفوه في حياتهم .

ولولا وقار (مأتم التأبين) لروينا لحضراتكم شيئاً من مُلحه الأدبية مما يدلُّ على شدة ذكائه . وقوة حفظه .

* * *

على أنني مهما أغفلتُ ذكر خبر من أخبار حفظه . لا أحب أن يفوتني ذكر خبر مستغرب اتفق له مرة في نسيانه :

ذلك أنَّ (حافظاً) يحفظ أخبار الأولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقة وتثبُّت . ولكنه مع هذا ذَهِلَ مرةً عن خبر (قصر الجزيرة) الذي كان للخديوي اسماعيل ثم اتخذ فندقاً لكبار السياح ثم صار قصراً لآل لطف الله — فروى لنا (حافظ) أن هذا القصر أصبح (بستان حيوان) . وذلك قوله من قصيدة[1] وصف فيها ذلك القصر :

(كنت بالأمس جنّةَ الحور يا قصـ ـر فأصبحت جنّة الحيوان)

مع أنَّ الذي تحوّل الى (جنة حيوان) انما هو (قصر الجيزة) لا (قصر الجزيرة) .

ولعمري إنَّ نسيان (حافظ) لخبر هذين القصرين اللذين هما على مرمى سهم من نظراته . وطالما لمحها في غدواته وروحاته — أمرٌ مستغربٌ جداً نرويه في غرائب أخباره بعد مماته . كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته .

وهذا النسيان من (حافظ) يُشبه ما روي عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أنه استأذن يوماً على بعض إخوانه . فسأله الحاجب عن اسمه . فأطرق يتذكر .

رحم الله (الشيخ عبده) ورحم (حافظاً) . وهل ترون الزمان . أيها الاخوان . يُخلف علينا مثلهما في العلماء والشعراء ؟ إنْ فعل نكن حقاً من السعداء .

---

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٢) .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة الاستاذ شفيق بك جبري

ستون عاماً على كره تعانيها   هدأت عنها ولم تهدأ لياليها
ما زلت منها على بأس تغالبه   حتى طواك على الأشجان طاويها
فاطرح شدائدها عن كاهل هدمت   من جانبيه ولم تهدم عواديها
يا وقفة لك في افيائها انحدرت   عنك العواطف مغنيها ومشجيها(1)
ناجيت فيها صباً ولت نواعمه   بدلت شيخوخة منه تناجيها
فتوة ملئت بؤساً نضارتها   وكبرة أفعمت سقماً حواشيها
أهبت بالموت من سقم ومن شجن   كأنما الموت آمال تناغيها
فنم هنيئاً فلا جسم تنازعه   تلك الشجون ولا نفس تعاديها

* * *

غنت قوافيك بالاحزان مائجة   تكاد تنطق عن بؤس اغانيها
على قريضك من أناتها أثر   اراه يفصح عن اقصى مراميها
ماهي اغاريدها ان ناح نائحها   الا تهاويل من شكوى تزجيها
تجهمتك الليالي في تصرفها   ففاض شعرك في الآفاق تأويها
فما تمليت في يوم مضاحكها   ولا تملت الا في مباكيها
أمعنت في طلب الدنيا فما ابتسمت   لك الحياة ولا هشت امانيها
سعت بك القدم المشؤم طالعها   فلم تؤد الى نجح مساعيها
على نعالك من تربيها دفع   من نائي النجم لم تنشف جواريها

---

(1) اشارة الى قوله رحمه الله :

وقد وقفت على الستين اسألها   أسوفت أم اعدت حر اكفاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حتى وددت لوان النفس عاد بها ... من قبل أن تسأم الاشجان باريها
أو كان في مسبع الحيتان مطرحها ... أو في مسارح من هلك مآويها
المانوية لم تعتق مذاهبها ... على قوافيك رسم من اماليها
لله شعرك كم هاجت هوانجه ... بفيقة في حواشي النفس تغفيها
قذفت منه على السودان طائفة ... صورت بلواك تصويراً يجليها
لو لحنوا البؤس في شعر نردده ... لكان بؤسك ألحانا نغنيها
ودعت دنياك توديعاً ترقرقه ... شكوى يذوب على الآلام شاكيها
فما لعينيك في لألائها انس ... وانما الأنس في أدجى دياجيها
كأنما قبرك المأنوس متسع ... لعيشك المر من جلى تقاسيها
العبقرية ما زالت معذبة ... في الشرق ما جدت يوماً ما آقيها

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكن نفسك لم تصرع جوانبها ... ظلماء من خيبة الآمال تبريها
هزأت بالعمر لم تعبأ بعتمته ... وعشتها عيشة طلقاً نواحيها
داويت بالكأس آلام الحياة وهل ... بغير اشراقها قلب يداويها
لقيتها ضرة الاحزان زاكية ... غراسها مستطابات مجانيها
الكاس والطاس والصهباء ماثلة ... في شعرك الطلق تزهى في مزاهيها
شتت شمل الليالي في تناولها ... على رخيم من الأنغام تحييها
لئن نظرت الى الدنيا وبهجتها ... بمقلة ما رأت الا مساويها
لقد خلعت على الأحزان مشرقة ... من الحبور طوت من شجو شاجيها
وما الحياة اذا اسودت جوانبها ... وما الليالي اذا لم يصف صافيها
خير من العمر ممدوداً سرادقه ... على الأسى لحظة تحلو ثوانيها
لله مجلسك المحشوك كم طربت ... فيه القلوب وكم بشت بواكيها
فقد تكون حزين البال متعبه ... وقد نراك ضحوك العين ساجيها
تلك الأحاديث قد ذقنا حلاوتها ... في كل نادرة سحر يجليها

تزداد حسناً اذا ازدادت روايتها   رقيقة سكبت من روح راويها

* * *

لكن روحك ان جدت وان هزلت   لم تنس مصر ولم تهمل معانيها
غنت بوادي الحمى في فجر نهضته   وخاضت النهضة الحمر واديها
قد كنت بلبلها الغريد هيجه   غول على مصر محتل روابيها
أحببت مصر وسارت في محبتها   قصائد من عباب النيل ترويها
يجول فيها هوى الفسطاط مزدحماً   على فؤاد عناه خطب أهليها
أيقظت منها غفاة في مضاجعهم   والشعر يوقظ في الأقوام غافيها
كم أمة رسفت في القيد أطلقها   من القيود فلم تملك نواصيها
أمضك الجرح في احشاء عترتها   أكنت في شعرك الريان آسيها
اردتها حرة لا الكبر يثقلها   اذا تهادت ولا الأصفاد توهيها
فما تخوفت الا لعب لاعبها   ولا تخشيت الا لهو لاهيها
فكم بكيت على مصر وحاضرها   وكم حنوت على مصر وباقيها
جادت لها عينك الريا محاجرها   باللؤلؤ الرطب من حال تعانيها
اذا سكت فلم تأمن هوادتها   وان نطقت فلم تأمن منافيها
آسيتها يوم دنشواي وروعته   يا يوم دنشواي ما أبقى الأذى فيها
جلد وشنق وفي الاسرين مهزلة   تلك الجنايات باسم العدل جانيها
كشفت عنها غطاء كان يسترها   حتى تمثل للعينين قاسيها
ضحوا بشعب بديلاً من قتيلهم   تلك الجراحات لم تضمد دواميها
ويح الحضارة كم راقت ظواهرها   هذي العيون وكم ساءت خوافيها
في طيها الموت خفاق سبائبه   مكشوفة عن ضحاياه محابيها
ذئب تلفف في جلد الشياة وهل   يخفي الذئاب طلاء في مغاطيها
خير من العلم جهل لا يشنعه   عسف الشعوب وهزء من اضاحيها

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما كان شعرك الا وحي عاطفة ظل الجزيرة والاهرام موحيها
عليه من مضر الحمراء منزعة محبوكة الوشي مرصوص مبانيها
لئن جفت مصر ارض الشام واطرحت هوى العروبة كم انبت جافيها
صالحت جلق لم تنقض مواثقها على البعاد ولم تنكث اواخيها
فان بكتك على جرح تعالجه فقد رأتك على الاهرام تبكيها

خطاب قنصل مصر

« في حفلة تأبين حافظ »

ARCHIVE

ألقى سعادة قنصل مصر في بيروت في الحفلة التأبينية لشاعر النيل المرحوم حافظ بك ابراهيم الخطاب الآتي :

دولة رئيس الوزراء — سادتي

ليس هذا يوم مصر فقد قامت مصر بقسطها من واجب التأبين واحياء ذكرى الراحل العظيم ولم يبق فيها صغير ولا كبير الا اشترك بقلبه أو لسانه في تمجيد شاعر النيل بل شاعر الشرق المغفور له حافظ بك ابراهيم . وانما اليوم يومكم . يوم سوريا الخالدة ورجالها الأمجاد ، يوم حماة العربية لتمجيد ذكرى شاعر العربية . وعلم النهضة الفكرية . وحامل لواء الشعر في البلاد العربية ... اليوم يومكم فليس لي ان اطيل الكلام بينكم وقد وفى خطباؤكم المقام حقه فأجادوا وأبدعوا . وانما وقفت لاعبر لكم عن خالص شكري وتقديري لشعوركم واغتباطي لما تظهره سوريا دائماً نحو شقيقتها مصر من العطف والود والاخلاص . ويزيد اغتباطي وسروري ان هذه المظاهرة لا تبدو في ناحية واحدة من نواحي الحياة بل تبدو في جميع الظروف والمناسبات فلا تمر فرصة أدبية كانت أو عملية

اقتصادية أو تجارية ، اجتماعية أو سياسية لا تظهر فيها تلك العواطف بأجلى وضوح ... ولا شك ان هذا الود المتبادل هو أكبر عامل من عوامل التقارب بين البلادين كما ان مثل مانحن مجتمعون له اليوم له اثره الفعال في زيادة الروابط الروحية والنفسية بين الشعبين الشقيقين شعب سوريا وشعب مصر ... عاشا صديقين تؤلف بين قلبيهما عواطف الولاء والحب والإخلاص .

ولا يفوتني ان اسدي اجمل الشكر لحضرات رئيس واعضاء المجمع العلمي الذين يكرمون في الراحل الكبير لا ابن مصر فقط ولا شاعرها الفذ بل يكرمون فيه فقيد اللغة العربية وفقيد الشرق باجمعه كما واني أشكر حضرة صاحب الدولة حقي بك العظم رئيس الوزارة السورية على تعطفه بوضع هذه الحفلة التاريخية تحت رعايته السامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراران في تأليف
« المجمع العلمي العربي »
(١)

قرار (١٣٥)

بوضع القانون الأساسي للمجمع العلمي العربي والمكتبة الوطنية
في دولة سورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٢٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية

وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨ ·

وبناء على قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ ·

وبناء على القرار رقم ٢٨٣ بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ القاضي بوضع نظام الجامعة السورية وفصل المجمع العلمي العربي عنها ·

وبناء على اقتراح وزير المعارف ·

« يقرر »

المادة الاولى المجمع العلمي العربي جمعية علماء غايتها ومهمتها حفظ اللغة العربية وترقيتها والتدقيق في البحث عن تاريخ سورية وتاريخ اللغة العربية ·

المادة الثانية مركز المجمع العلمي العربي في دمشق ويمكن ان يكون له شعبة في حلب واعضاء مراسلون في البلاد المشمولة بالانتداب والبلاد الأجنبية ·

المادة الثالثة يشرف المجمع العلمي العربي على دور الآثار في دولة سورية من الوجهة العلمية ·

المادة الرابعة يربط المجمع العلمي العربي ادارةً بوزارة المعارف ·

ان وزير المعارف مكلف بدرس الأمور المتعلقة بالمجمع العلمي ولاسيما الأمور التي يجب ان تعرض على رئيس الدولة أو المفوض السامي (فمن هذه الأمور) ·

(١) يهيء الوزير جميع قرارات رئيس الدولة المتعلقة بنظام المجمع أو تعيين رئيسه واعضائه · وهذه القرارات تعرض على المفوض السامي للمصادقة عليها ·

(٢) يدقق في مطالب رئيس المجمع العلمي بشأن الاعانات ويرسلها الى رئيس الدولة مشفوعة بملحوظاته ·

المادة الخامسة يدير المجمع العلمي رئيس ينتخب بالتصويت السري لمدة ثلاث سنوات من بين الأعضاء وبناء على اقتراح زملائه يجوز تجديد انتخاب الرئيس ·

المادة السادسة يساعد رئيس المجمع العلمي مجلس مؤلف من جميع الأعضاء · أعضاء المجمع العلمي عشرون ·

وعند ما يتوفى أحد الأعضاء أو يقدم استقالته ينتخب مجلس المجمع خلفه ولا يصبح هذا التعيين مبرماً الا بعد موافقة رئيس الدولة وتصديق من المفوض السامي ·

يجتمع مجلس المجمع العلمي مرة في السنة بجلسة اعتيادية بناء على دعوة الرئيس الذي يمكنه ان يدعوه ايضاً للاجتماع في جلسة غير اعتيادية ·

وعدا ذلك فانه يساعد الرئيس عضوان اداريان دائمان ينتخبهما المجمع ضمن الشروط نفسها التي ينتخب بها الرئيس ·

المادة السابعة يدرس المجمع العلمي جميع المسائل المتعلقة بالمجمع ليقدمها الى وزارة المعارف فمن هذه المسائل تهيئة الموازنة والنظام الداخلي وبرنامج مباحث التاريخ والالسنة والنشر والمطبوعات التي يجب القيام بها وادارة المكتبة الوطنية في دولة سورية الخ ···

يبدي المجمع العلمي امانيه ومطالبيه المتعلقة بالحفر أو بالمباحث الأثرية التي تظهر له ضرورة القيام بها وبالتمثيل والاشتراك في المؤتمرات العلمية الدولية ·

المادة الثامنة تحدد فيما بعد بقرار خاص الشروط التي يجب بموجبها على المؤلفين والناشرين وأصحاب المطابع والمكاتب أن يقدموا الى المكتبة الوطنية ثلاث نسخ من كل كتاب أو صحيفة أو جريدة أو مجلة مطبوعة في دولة سورية أو من تأليف وطني سوري ومعدة للبيع في دولة سورية ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المادة التاسعة يتمتع المجمع العلمي بالشخصية المعنوية وله زيادة على ذلك استقلال في ميزانيته وتتكون واردات موازنة المجمع العلمي من محصول العطايا والاعانات التي تجود بها دولة سورية ٠

أما النفقات فانها تشمل ما يأتي :

راتب الرئيس والعضوين الاداريين ٠

راتب موظفي الادارة والخدمة الذين يدخل في عدادهم موظفو المكتبة ٠

التعويضات الخاصة التي تعطى بعد قرار وزاري الى الأعضاء للأبحاث والمحاضرات التي يكلفهم بها المجمع ٠

حفظ المفروشات والأماكن والأجرة والتنوير والتدفئة وفرش الأماكن المعينة للمجمع وشعبه والمكتبة الوطنية ٠

نفقات نشر الكتب والمخطوطات القديمة مع اعمال المجمع ٠ نفقات المراسلات والاشتراك والنشريات ٠

نفقات اشتراك وتمثيل المجمع العلمي في المؤتمرات الدولية العلمية وذلك بعد موافقة وزير المعارف وقرار رئيس الدولة ٠

ايجاد جوائز لمكافأة اعمال اللغة والتاريخ وتاريخ اللغة والآثار ٠

شراء كتب مطبوعة ومخطوطة للمكتبة الوطنية ٠ والعناية بتجليدها وحفظها ووضع فهرس عام للمكتبة ٠

ينفذ تنظيم هذه الموازنة التي يصدقها رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف طبقاً لقواعد المحاسبة العامة ٠

يقوم رئيس محاسبة وزارة المعارف بدون راتب اضافي بوظيفة محاسب المجمع العلمي العربي

أحكام التطبيق

المادة العاشرة ان جميع موافقات رئيس الدولة المنوه بها في هذا النص تصدر بصورة قرار ٠

المادة الحادية عشرة ان الرئيس والعضوين الاداريين الدائمين الموجودين الآن في وظائفهم يبقون على رأس وظائفهم مدة ثلاث سنوات اعتباراً من نشر هذا القرار ٠

المادة الثانية عشرة تلغى أحكام النصوص النظامية المتعلقة بادارة المجمع العلمي المخالفة لهذا القرار وعلى الأخص القرار رقم ١٣٢ المؤرخ في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٣ ٠

المادة الثالثة عشرة ان وزير المعارف ووزير المالية مكلفان بتنفيذ هذا القرار الذي يطبق اعتباراً من يوم نشره للأعمال الادارية ومن ابتداء كانون الثاني سنة ١٩٢٨ من الوجهة المالية ٠ دمشق : في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ ٠

وزير المعارف	شوهد مندوب المفوض السامي	رئيس مجلس الوزراء
محمد كرد علي	دبليه دبلوج	محمد تاج الدين الحسني

شوهد وصدق في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ تحت رقم (٦٧٠)

المفوض السامي (بونسو)

— ٢ —

قرار رقم (١٤٠٩)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان رئيس مجلس الوزراء بدولة سورية

بناء على قرار تأسيسها تاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ رقم ٢٩٨٠

وعلى قرار تعيينه رقم ١٨١٣ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨

وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨

وعلى القرار رقم ٢٨٣ القاضي بوضع نظام الجامعة السورية

وعلى القرار رقم ١٣٥ تاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي

وعلى القرار رقم ١١٣ القاضي بوضع ملاك التعليم العالي ٠ وحيث ان التقلب في ادارات المعاهد العلمية الكبرى يحول دون رقيها ٠

وبناء على اقتراح وزير المعارف

« يقرر »

المادة الاولى تبدل المادة الثالثة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بالأحكام الآتية :

المادة (٣) يدير الجامعة السورية رئيس يعين بقرار من رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف وينتخب من أساتذة التعليم العالي ولايجوز ان يجمع بين وظائف أخرى ذات راتب يدفع من موازنة الدولة أو موازنة ملحقة بها ٠

المادة الثانية تبدل المادة التاسعة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بالأحكام الآتية :

المادة (٩) يدير كلاً من معهدي الطب والحقوق رئيس ينتدبه رئيس الدولة بقرار الى مدة خمس سنوات بناء على اقتراح وزير المعارف ٠

ينتخب رئيس لكل معهد حتماً من بين المرشحين الذين يقترحهم مجلس المعهد ذي العلاقة من جهة ومجلس الجامعة من جهة أخرى ٠ وكل من هذين المجلسين ينظم بهذا الشأن لائحة تحتوي على ثلاثة أسماء مرشحين من بين الاساتذة القائمين على رأس العمل في المعهدين ومن الممكن تجديد مهمة رئيس المعهد ٠

المادة الثالثة يعين رئيس المجمع العلمي بقرار من رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف الى مدة خمس سنوات ٠ وينتخب من لائحة تحتوي ثلاثة أعضاء في المجمع يهيئها المجمع المذكور باجتماع عام ٠ ومن الممكن تجديد مدة رئيس المجمع العلمي ٠

المادة الرابعة يمكن انهاء مهمة رئيسي المعهدين ورئيس المجمع العلمي العربي بناء على اقتراح وزير المعارف بموجب قرار من رئيس الدولة تبين فيه الاسباب الموجبة ٠

كل رئيس معهد أو رئيس مجمع علمي يعزل من مهمته لا يمكن ان يكون فيما بعد موضوع انتخاب رئيس الدولة الا بعد مضي خمس سنوات ٠

المادة الخامسة يتقاضى رئيس الجامعة السورية ورئيس المجمع العلمي الراتب المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ ويتقاضيان ايضاً باسم نفقات تمثيل تعويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية ٠

ويتقاضى رئيسا معهدي الحقوق والطب عدا الراتب الخاص بكرسيهما المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ تعويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية ٠

المادة السادسة تلغى أحكام القرارات رقم ٢٨٣ و١٣٥ و١١٣ فيما هو مخالف لهذا القرار ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المادة السابعة وزيرا المعارف والمالية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار ·

دمشق : في ايلول سنة ١٩٢٩

رئيس مجلس الوزراء	وزير المالية شوهد – المندوب	وزير المعارف
محمد تاج الدين الحسني	محمد جميل الالشي (بروير)	محمد كرد علي

شوهد وصدق بتاريخ ٧ ايلول سنة ١٩٢٩ تحت رقم (١٢١٤)

عن المفوض السامي

التوقيع (تيترو)

قرار رقم ٢٣٧٦

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٣٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية

وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٣ في ١٤ شباط ١٩٢٨ ·

وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨١٤ في ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ ·

وبناء على قرار رقم ١٣٥ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي · وبناء على اقتراح وزير المعارف وبعد استطلاع وزير العدلية ·

« يقرر »

المادة الاولى عندما ينتهي طبع كل مطبوع سواء اكان هذا المطبوع يصدر في وقت معين ام لا وكل قطعة موسيقية وكل رسم مصور الخ – على صاحب المطبعة أن يودع المكتبة الوطنية في الدولة السورية نسختين منها والا كان عرضة لجزاء يتراوح بين ١٠ و ٥٠ ليرة ورقاً وتحتوي وثيقة الايداع على اسم صاحب المطبعة وعنوانه واسم المطبوع وعدد نسخه ويمهر بالنسختين وصل مرقم مؤرخ · يستثنى من ذلك اوراق الانتخاب · رسائل وبطاقات الدعوات وبيانات العنوان وعنوان الفواتير والاسهم المالية والعهود والاذاعات التجارية والصناعية ·

المادة الثانية يجري الايداع الاجباري المنصوص عليه في المادة السابقة ·

اما رأساً في المكتبة الوطنية (المجمع العلمي) بدمشق ٠
واما رأساً في مصلحة المعارف بحلب ٠
واما بموجب كتاب مضمون باسم محافظ المكتبة الوطنية (المجمع العلمي) بدمشق ٠
عند ما يجري الايداع رأساً يعطى الوصول فوراً وعندما يرسل بواسطة البريد يعطى الوصول بالطريقة نفسها ٠

وعلى كل الأحوال يوضع رقم الوصول بالحبر على النسختين المودعتين بجانب اسم صاحب المطبعة يستعمل سجل خاص حسب تتابع الأيام مرقم من (١) الى (ن) في المكتبة الوطنية وسجل آخر في مصلحة المعارف بحلب لتسجيل الايداعات ٠

المادة الثالثة تجري التعقيبات من قبل النيابة العامة في المركز الموجودة فيه المطبعة المخالف صاحبها وهذه التعقيبات تجري اما من قبل النيابة العامة مباشرة واما بناء على طلب رئيس المجمع العلمي أو رئيس مصلحة المعارف بحلب ٠

المادة الرابعة تلغى جميع الأحكام المخالفة لهذا القرار وأحكام القوانين السابقة التي تتعلق بايداع نسخة واحدة من بعض المؤلفات الى مصلحة المعارف ٠

المادة الخامسة وزيرا المعارف والعدلية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار ٠

دمشق : في ٢٦ آب سنة ١٩٣٠

وزير المعارف	شوهد وزير العدلية	رئيس مجلس الوزراء
التوقيع (محمد كرد علي)	التوقيع (صبحي النيال)	التوقيع (محمد تاج الدين الحسني)

شوهد وصدق بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ تحت رقم ٨٨٧٦
: المندوب
التوقيع (بروبير)

رياسة المجمع العلمي العربي

انتهت مدة رياسة المجمع العلمي العربي فكتب معالي وزير المعارف مظهر باشا رسلان الى رياسة المجمع كتابا بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٣٢ هذا نصه :

« نرجو ان تأمروا بجمع اعضاء المجمع العلمي لانتخاب رئيس له بحسب الاصول وتفضلوا باعلامنا النتيجة وقبول فائق الاحترام سيدي . »

فانتخب المجمع ثلاثة من أعضائه عملاً بقرار رقم ١٤٠٩ وهم الاساتذة محمد بك كرد علي والدكتور اسعد الحكيم والامير مصطفى الشهابي فاختارت وزارة المعارف الرئيس الاول وكتبت الى المجمع بتاريخ ٢٧ آب سنة ١٩٣٢ الكتاب الآتي :

« لمعالي رئيس المجمع العلمي العربي الافخم

هيأنا مرسوماً بتجديد انتخاب معاليكم لرياسة المجمع العلمي العربي وسنرسله اليكم متى صدق فنأمل أن يستمر المجمع في رياستكم الجديدة في سبيل التقدم والترقي وان يزداد ازدهاراً وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي » .

وهذه صورة المرسوم العالي الوارد بتجديد تعيين الرئيس

« ان رئيس الجمهورية السورية

بناء على الدستور المنشور في ١٤ أيار سنة ١٩٣٠

وبناء على القرار رقم ١٣٥ بتاريخ ٨ أيار ٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي

وبناء على القرار رقم ١٤٠٩ بتاريخ ايلول ٩٢٩ القاضي بوضع نظام تعيين رؤساء المعاهد

وبناء على قرار المجمع العلمي بتاريخ ٢٤ آب سنة ١٩٣٢

وبناء على اقتراح وزير المعارف

« يرسم مايلي »

المادة ١ — يجدد تعيين الاستاذ محمد بك كرد علي رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة

خمس سنوات اعتباراً من ١٦ حزيران سنة ١٩٣٢

المادة ٢ — يذاع هذا المرسوم ويبلغ الى من يجب .

دمشق في ربيع الآخر سنة ١٣٥١ . ه وفي آب سنة ١٩٣٢ م

١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ ه و١٣ ايلول سنة ١٩٣٢ م

صدر عن رئيس الجمهورية التوقيع : محمد علي العابد

وزير المعارف رئيس مجلس الوزراء

التوقيع : مظهر رسلان التوقيع : حقي العظم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وافكار

« جامع أو جامعة القرويين »

ان فاخر المشرق بالأزهر وقدم الازهر فان المغرب الأوسط جدير بان يباهي بجامع الزيتونة . والمغرب الأقصى بجامع او جامعة القرويين . وان هذا الأخير أسبق زمناً من رفيقيه بل ربما كان أقدم مدرسة جامعة في العالم .

أسست جامعة القرويين امرأة وهي فاطمة أم البنين سنة ٢٤٥ ﻫ ومازالت تلك الجامعة منذ ذاك التـاريخ الى الآن تهدى الى مختلف الأقطار في المشرق والمغرب حظاً من ثمار رجالها الذين خدموا العلم بنشاط واخلاص ونثروا في كل جهة بزور الفنون المختلفة سواء منها ما يتعلق بالدين أو الدنيا . وما كان تعصب هؤلاء الرجال لدينهم بالذي يمنعهم ان يفتحوا صدورهم لقبول كل شيء ودرس كل ما من شأنه ترقية الفكر واصلاح الضمير . ولنسرد على سبيل المثال طائفة من هؤلاء الرجال :

(١) عبد الله بن حجاج صاحب الأرجوزة في الجبر والمقابلة (توفي سنة ٦٠١ ﻫ) .

(٢) الإمام ابن البنا الفلكي المهندس الفيلسوف (نيف و ٧٢٠ ﻫ) .

(٣) احمد بن شعيب الجزنائي الطبيب الأديب (٧٤٩ ﻫ) .

(٤) محمد بن عمر الفلكي (٧٩٤ ﻫ) .

(٥) ابو زيد الجاديري الفلكي الشهير (٨١٨ ﻫ) .

(٦) عبد الله اليفرني اليحصوبي الكبير (٨٥٦ ﻫ) .

(٧) ابو عمران بن المقدة موسى الدلنافي (٩١١ ﻫ) .

(٨) ابو العباس احمد المطرفي المعدل (١٠٠١ ﻫ) .

(٩) ابو زيد البعقيلي الفلكي (١٠٠٦ هـ) .

(١٠) محمد بن ابي القاسم بن القاضي الرياضي (١٠٤٠ هـ) .

(١١) ابو الحسن بن عبد الواحد صاحب المؤلفات في الطب والتشريح والفلك (١٠٥٢ هـ) .

(١٢) عبد الوهاب بن ابي حامد الميقاتي المهندس (١٠٧٩ هـ) .

(١٣) محمد بن سليمان الرواني مخترع كرة الدوائر الفلكية الشهيرة به المتوفى بالشام (١٠٩٥ هـ) .

(١٤) ابو زيد عبد الرحمن الفاسي اسيوطي زمانه الذي قيل فيه أنه أعرف بكل فن من اهل كل فن مؤلف كتاب الأقنوم ومخطط الخرائط الجغرافية والفلكية الخالدة (١٠٩٦ هـ) .

هذه طائفة ممن اشتهر بعلوم الدنيا اما علماء الدين فانهم يفوقون الحصر . وكانت جامعة القرويين على اختلاف الاعصار مثابة لطلاب الاقطار يفدون اليها رغبة في التزود من معينهـا والكرع من ينابيع رجالها فقد تبلت عديداً من طلبة مصر وافريقية والاندلس وانكلترا وروما وغيرها وقد قال بعض علماء الروسية (ان أقدم كلية في العالم ليس في اوربا كما كان يظهر بل في افريقية في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقاً اذ ثبت بالشواهد التاريخية ان هذه المدرسة كانت تدعى (كلية قيروان) وقد أسست في القرن التاسع للميلاد (أي الثالث للهجرة) وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة وقت ان لم تكن سكان باريس واكسفورد وباردو وبولونيا يعرفون من الكليات الا الاسم ولذلك كانت الطلبة تتوارد على (كلية قيروان) من انحاء اوربا وانكلترا فضلاً عن بلاد العرب الواسعة للانخراط في سلك طلابها وتلقي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الافريقيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوربيين البابا (سلفستر) وهو اول من ادخل الى اوربا الأرقام العربية وطريقة الأعداد المألوفة بعد أن اتقنها جيداً في هذه الكلية كما يظهر من رسالته الى الامبراطور (أتون) مساعده التي أتى فيها على ذكر الصفر بقوله : إني اشبهك بالرقم الأخير من الاعداد البسيطة العشرية التي تزداد قيمته بوضع اعداد

أخرى عن يساره اه . وقول هذا الكاتب الرومي ان اسم تلك الكلية (كلية قيروان) تغيير في الترجمة وصوابه (كلية القرويين) وقد رأى القارئ من اسماء العلماء السابقين انهم كانوا بحوراً في علوم الدنيا كالطب والفلك والهندسة وهذا في القرن الثالث عشر الذي بعد بحق عصر الاسفاف في الافكار والانحطاط في الهمم وقد أشار الى ذلك كثيرون ممن تعرضوا للمغرب في كتاباتهم من الأوربيين أمثال الموسيو (بونه مودو) مؤلف كتاب الاسلام والنصرانية في افريقية . ومن العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلوم الحديثة في جامعة القرويين .

(١) — الطبيب سيدي عبدالسلام العلمي وله مصنف في البواسير ومصنف آخر سماه (ضوء النبراس . في حل الفاظ الانطاكي بلغة فاس) وقد ذكر في آخر هذا الكتاب انه شرع في وضع معجم للمصطلحات الطبية الجديدة ومقابلتها بالمفردات العربية واللهجة المغربية ولا نعلم ان كان أتمه او حالت المنية دون الاتمام .

(٢) — ابو عبد الله الأغزاوي المهندس .

(٣) — سيدي ادريس البلغيثي الفلكي .

(٤) — السيد محمد الايراوسيه الموسيقي البارع الذي استمر يدرس الموسيقى بظهر صومعة القرويين الى آخر العقد الثالث من هذا القرن .

ولسنا ننكر ان في هـذه الجامعة فوضى تحتاج الى إصلاح ونظامتين ولعل هذا في جملة الاسباب التي دعت جلالة السلطان مولاي الحسن الى إيفاد البعثات العلمية رغبة في الاستفادة من العلوم الحديثة وتطبيق برنامج ثابت في جامعة القرويين تنال من ورائه الفائدة المبتغاة ان شاء الله . انتهى ملخصاً من مقال لسيدي محمد علال الفاسي نشره في (مجلة المغرب) .

« المغربي »

جدول الخطأ والصواب

ورد في اجزاء هذا المجلد اغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص ٢٣ س ١ اهو صوابها هو • وفيها س ٢ للغة صوابها اللغة • وص ٢٦ س ٤ بوغه صوابها نبوغه • وص ٣٩ س ٦ لظ ية صوابها لظبية • وص ٤٩ س ٥ من ا صوابها من أن • وص ٥٨ س ١٣ الحـ بة صوابها الحبة • وص ٦٦ س ١١ يكـ ن صوابها يكون • وص ٧٢ س ٩ زهرةالجريس صوابها زهرة الجُلجُل • وص ٨٧ س ٦ conte صوابها comte • وفيها س ١٠ مقـ مة صوابها مقابة • وص ٩٥ س ٢٣ بلاد صوابها يبلاد • وص ١١٣ س ١٨ بعدم صوابها بعدها • وص ١٢٥ س ٦ ويتذقون صوابها ويتذوقون • وص ١٥١ س ٢ فسل صوابها فصل • وفيها س ٧ والفسل صوابها والفصل • وص ١٥٤ س ٢٠ نفظا صوابها لفظاً • وص ١٥٧ س ٨ يقذة ا صوابها يقذفها وص ١٥٩ س ٥ الاستكره صوابها الاستكراه • وص ١٧٨ س ١٤ التة حية صوابها التفاحية • وص ١٨١ س ٢٢ بالنقط صوابها بالنقط • وص ١٩٢ س ٨ ــ ا ا صوابها واواً • وص ١٩٥ س ٦ و لاخر صوابها والآخر • وص ٢٣٠ س ١٣ القطلب صوابها البقس • وص ٢٤٥ س ١٠ حاملة صوابها معاملة • وفيها س ١٣ بعدي صوابها لبعدي • وص ٢٤٧ س ١٩ يترضى صوابها فيترضى • وص ٢٥٩ س ٧ وقي صوابها وفي • وص ٢٦٢ س ١٢ ؤ صوابها في • وص ٢٩٥ س ١٤ ـويا صوابها قوياً • وص ٣٠٠ س ٢٢ الممد د صوابها الممدود • وص ٣٠٣ س ٨ نزله صوابها منزله • وص ٣٠٤ س ٧ حلقه صوابها خلقه • وص ٣٢٧ س ١٢ خا دة صوابها خامدة • وص ٣٨٤ س ٢٠ المفاخرة صوابها المعاصرة • وص ٣٩١ س ١ الأشار صوابها لأشار • وص ٣٩٩ س ١٠ العلحب صوابها المحلب • وص ٤٠١ س ٢ وعاؤها صوابها وعاءها • وص ٤٠٩ س ٨ (١) صوابها ١٠ • وص ٤١٨ س ٢ عرب صوابها تركمان • وفيها س ٣ سراة التركمان صوابها سراتهم • وفيها س ٥ في زهاه صوابها وزهاه • وفيها س ١٥ (١٣٥) صوابها ١٣٥١ • وص ٤٤٤ س ٤ في صوابها في • وص ٤٤٦ س ٦ وضعه صوابها وضمنه • وص ٤٤٨ س ١٥ (٤) صوابها (٠) وص ٤٥٤ س ١ وجع صوابها ترجع • وص ٤٦١ س ٢٠ تم صوابها ثم • وص ٤٦٤ س ١٩ و وى صوابها

وروى · وص ٤٧٤ س ١١ يقنص صوابها ينقص · وص ٤٧٩ س ٢٢ وربا صوابها وبما · وص ٤٨٠ س ١٢ الحرار صوابها الحرى · وفيها س ١٨ طمى الحرات صوابها العلمي الحرّي · وفيها س ٢٠ تعميق صوابها بتعميق · وص ٤٨٥ س ١ متعددة صوابها متمددة · وفيها س ١ مقعرة دنانئة صوابها متعرة أوناتئة · وص ٥١٧ العنوان محمد يحيى الاثري صوابها محمد يحيى الهاشمي · وص ٥٢٣ س ٢٠ نحتاح صوابها نحتاج · وص ٥٢٦ س ١٧ المتردافة صوابها المترادفة · وص ٥٥٠ س ٢٢ (٤٩ — ٥٠ صوابها ٤٠ — ٥٠ · وص ٥٥٣ س ٣ البيان صوابها البنيان · وص ٥٥٦ س ٦ (٦٣) صوابها ٦٣٠ · وفيها س ٧ (٦٨٩) صوابها ٦٧٩ · وص ٥٥٩ س ١٣ اربعم صوابها اربع · وص ٥٦٧ س ١٠ قلت الصواب فقلت · وص ٥٧٢ س ٨ التي تعاو ته الصواب التي تعاورته · وص ٥٨٦ س ٢٠ لكمات الصواب اكلمات · وفيها س ٢١ — احاجة الصواب حاجة · وص ٥٩٥ س ١١ أصبح الصواب فأصبح · وص ٥٩٧ س ٠ : يحق الصواب يخفى · وص ٦١٠ س ٨ الداوية اي الفرسان الميكليين — الصواب الاسبتار اي فرسان مستشفى ماريوحنا · وص ٦١٣ س ١٦ الزيادات صوابها الزيارات · وص ٦١٥ س ٢٤ له صوابها عليه · وص ٦١٦ س ١٨ بتمثل صوابها يمثل · وص ٦١٩ س ١٨ منكسرا — صوابها منكسراً · وص ٦٢٨ س ٢ في فح صوابها في فتح · وص ٦٥٦ س ٨ حمسين صوابها خمسين · وص ٦٥٧ س ٤ جرب صوابها جريب · وفيها س ١١ نباتبين صوابها نباتيين · وص ٦٧٤ س ١٤ في ام صوابها اسم · وص ٦٧٥ س ١٤ كالقصور صوابها كالعقود · وص ٦٧٦ س ٢١ رجل ايضاً صوابها ايضاً رجل · وص ٦٧٨ س ٢ غنابير صوابها غنابيز وص ٧٠٠ س ٦ د بة صوابها دربة · وص ٧٠٣ س ١ — لأخرى صوابها الأخرى · وفيها س ٩ هذه صوابها في هذه · وص ٧٠٨ س ١٥ توت غنغ صوابها عنخ · وص ٧١٦ س ١ مصر لمن صوابها مصر ولمن · وص ٧٢٣ س ٦ نخمه صوابها نغامه وفيها س ١٠ محاظباً صوابها مخاطباً · وص ٧٢٥ سطر ٢٥ ي صوابها أي · وصفحة ٧٢٨ سطر ١٢ الحرات السوداء صوابها حجارة الحرار السود · وصفحة ٧٣٢ سطر ١ جرت في صوابها جرت معركة في · وصفحة ٧٤٩ سطر ١٤ نخاظبه صوابها نخاطبه · وصفحة ٧٥٢ سطر ١ باويج صوابها ياويح · وصفحة ٧٥٦ سطر ١١ الفصيج صوابها الفصيح ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com